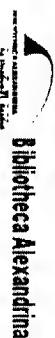


علمى طالبة البوسنة



94

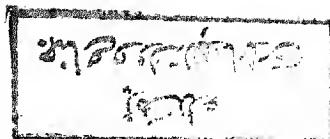
مركز الدراسات العربية والدولية
مؤسسة البحار لتأهيل وتأهيل ونشر



0158261



A



شاهد
على مأساة البوسنة

احداثات ١٩٩٩

سفارة دولة الإمارات العربية
المتحدة بالقاهرة

الطبعة الأولى
السنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

أصدر : مؤسسة الاتصال للصحافة والنشر
الإخراج : محمد عباس

٩٤٩.٧١٠٣



سید حمدي
البر - ١٢٦٣

١٠٥٦٩

شاهد على مأساة البوسنة



Q:

Collection of the Alexandria Library, GOAL
Bibliotheca Alexandrina

مؤسسة الأهرام للصحافة والنشر
مركز الدراسات العربية والدولية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الرقم	الاسم	الرقم	الاسم
٤١	● الفصل الثاني: الرحلة الثانية.....	٦	الاهداء
٤٣	- تقديم.....	٧	- تقديم.....
٤٥	- مجرد نموذج	٩	● الفصل الاول: الرحلة الاولى.....
٤٧	- التاريخ الملطخ	١١	- تقديم.....
٥٢	- عمر باشا	١٣	- مطار بلجراد
٥٥	- مصطفى سليموسكى	١٤	- الحقبة السيئة
٥٧	- شمس تانكوبىتش	١٦	- اللغم الثانى
٦١	- سليمان واجليانيين	١٧	- حقيقة الجوار
٦٢	- التقطعتات والصدامات	١٩	- التصدى .. المواجهة
٦٤	- النشاط اليومى	٢١	- بحار الدم
٦٥	- حالة استغاثة	٢٣	- صوت المدافع
٦٧	- متقوون واخرون	٢٤	- السمكة الذهبية
٦٩	- زاوية طائفية	٢٦	- صورة ناصعة
٧٠	- مؤسسة الرئاسة	٢٨	- اشاعات واقاويل
٧٢	- خاتمة	٢٩	- مستشار الرئيس
٧٥	- ملحقات	٣٣	- بيجوفيتش .. رمن
٨١	المأساة بالصور	٣٦	- فرانسيو توجمان

«الاهداء»

الى ابى رحمة الله.. فلا يزال
صوته وهو يصدع بالقرآن كل
صبح ينساب فى اذنى. اللهم
اجعل مبتدئى ومنتهى فى
ميزان حسناته.

تقديم

استغرقتني احداث يوغوسلافيا وهى تعيش حالة الانهيار كمشروع اتحادى تأسس خارج حدود التاريخ والجغرافيا وكذلك الدين. فجأة انشقت الخريطة عن لوحة تحمل تقريبا نفس الحدود الداخلية لدولة المارشال تيتو وظهرت خمس دول من رحم الدولة الام. اختارت مونتيجو «الجبل الاسود» البقاء مع صربيا في ظل دولة واحدة، وانفصلت او استقلت كرواتيا وسلوفينيا ومقدونيا^٠ والبوسنة والهرسك. وسط هذه التداعيات برزت البوسنة والهرسك ثم كرواتيا ساحتين لاكثر الصراعات دموية بمواجهة صربيا. واذا كانت كرواتيا قد حسمت امرها منذ اللحظة الاولى - وربما قبلها واتخذت طريق الحرب، فإن البوسنة ظلت حتى اللحظة الاخيرة متمسكة ب الخيار السلام دون ان يضطر ذلك بجراء الى احترام قرار سراييفو بالاستقلال.

رحلتى الاولى الى اشلاء يوغوسلافيا مع نهاية عام ١٩٩١ وبداية عام ١٩٩٢ حملتني داخل اتون الازمة وطاحونتها. ازمة سياسة واقتصاد وهوية وتاريخ يتسرّب فجأة من بين ملايين اليدى التي اخذت تستعيد الحقائق مع مرور الوقت.

شغلتني في رحلتى الاولى قضية الدين. سؤال كبير طرحته علي تلك الصراعات المريدة. هل يمثل الدين الارضية الاكثر اتساعا التي تتشكل فوقها كل العناصر الاخرى الالازمة قبل ان تكتسب ملامحها النهائية؟ عوامل كثيرة ومتعددة تفسر الواقع هنا وهناك. تأكيدت اكتر من أهمية السؤال في رحلتى الثانية اواخر مايو واؤائل يونيو من عام ١٩٩٢. على مستوى الداخل لاحظت فرقا عرقيا ينطابق وفرزا دينيا في نفس الوقت.. صربيا ارثوذكسية وكرواتيا كاثوليكية والبوسنة والهرسك مسلمة.. على مستوى الخارج تبدى عامل الدين بشكل اوضح. دعم او تعاطف روسي روماني يوناني لصربيا والجميع يتمون للكنيسة الارثوذكسيّة. دعم غرب اوروبى لكراتيا وكلاهما - في الالغلب - من الكاثوليك. تعاطف واضح من رجل الشارع في العالم الاسلامي مع البوسنة والهرسك.

مستوى الدعم الذى تلقاه كرواتيا الكاثوليكية من الغرب خرج بالجمهورية الناشئة الى عالم الشرعية الدولية ذات كيان واضح محدد يمتلك بسلطة مركزية قوية رغم تواجد صرب مسلح فوق ثلث اراضيها. في نفس الوقت تتبلور ملامح مقاومة لا تخفي على اي متابع يمارسها الغرب في تعامله مع البوسنة. فلا هو مستمر في دعمه السياسي والعسكري لها حتى النهاية ولا هو يريد الضغط على صربيا حتى النهاية على طريق الالتزام بالقرارات الدولية. يتبين اكتر مع مرور الوقت وارتفاع القصف الصاربي ان الغرب يتمنى على القيادة البوسنية تقسيما فعليا للجمهورية مع البقاء على الشكل الخارجي للدولة الواحدة بحيث تفقد اي مضمون يمكنها من التحرك بفعالية وسط محيطها او مجالها الاوروبي. من جهة قدم الرئيس على عزت بيغوفيتش موافقته على نظام سياسي علماني كى يهدى مخاوف غربية حقيقة من توجيهات الغالبية المسلمة، فلم يكف ذلك! كان المطلوب دولة بلا دولة او جمهورية تحمل بذور التفتت قابلة للانفجار في اي وقت.

● يمثل المسلمون ٤٠٪ من سكانها البالغ اجماليهم ٥٢ مليون نسمة ولديهم ايضا معاناتهم ومشاكلهم.

هذه - اذن - محاولة لفهم الواقع البوسني للتعرف على مختلف تضاريس الازمة ورصد اعلى القمم وابرزها للعيان دون اغفال القمم الصغيرة المجاورة التي قد تنتهي لها بطريقة او باخرى. محاولة متواضعة عبر جهد صحفي لرصد واقع الازمة بالخبر والتحقيق وال الحوار في اروقة السياسة وشوارع المدن المنكوبة وكذلك جبهات الحرب. و اذا كان ثمة شكر يوجه بهذه الصدد، فاني اذكر بكل التقدير الدور الذي قامته بجريدة «الاتحاد» التي لم يتزد القائمون عليها في ابتعاثي الى موقع الازمة برغم اثني اتحمل مسئولية مدير مكتب الجريدة في العاصمة الفرنسية. ولا انس موقف الزميل الاستاذ عبيد سلطان مدير التحرير الذي اعطى موافقته فورا في المرتين لكنه اضاف جديدا في الرحلة الثانية حين طلب مني عدم الذهاب الى جبهة الحرب حرصا على سلامتي. الامر الذي ترك لدى اثرا عميقا. وتقديرا حقيقيا لذلك الموقف الانسانى رغم اثني لم استطع مقاومة اغراء زيارة الجبهة في البوسنة والهرسك ومعايشة اجواء المعارك كما حدث تماما في الزيارة الاولى.

**سيد حمدى
باريس في
١٩٩٢/٧/٦**

الفصل الأول

الرحلة
الأولى

1

1

مع حلول اليوم الأول من عام ١٩٩٢ وفي ظل المعارك المستعرة بين صربيا وكرواتيا كانت بجراد تحفل بحلول السنة الميلادية الجديدة مدركة تماماً أنها المرة الأخيرة التي تحفل بها تحت اسم يوغوسلافيا التي يعرفها العالم. ضلت القيادة الصربية ممثلاً في شخص رئيسها سلوبودان ميلوسفيتش على اصرارها من أجل استمرار الاتحاديوغوسلافي بالشكل الذي رسم الرئيس تيتو ملامحه. لكن البحث في واقع الشارع وقرارات الحكومة كانا يكشفان بسهولة انهيار الحلم الاتحادي. اعتمدت صربيا ديناراً جديداً «العملة الوطنية» بعدما سبقتها إلى خطوة مماثلة جمهوريات كرواتيا وسلوفينيا. بدا وقتها سيناريyo ترتكز ملامحه إلى خروج سلوفينيا من المواجهة مع صربيا سليمة معافاة بعد معارك استمرت نحو أسبوعين فقط، كرواتيا التي اعلنت أيضاً استقلالها تخوض حرباً شرسة مع صربيا. البوسنة والهرسك ترييد استقلالاً قائماً على السلام وحده. بقى من الاتحاد القديم الجبل الأسود «مونتينيغرو» التي آثرت السلامة واختيار الجانب الصربي. أما مقدونيا فقد كان واضحاً أنها تسير أيضاً نحو الاستقلال.

إيضاً مع حلول اليوم الأول من عام ١٩٩٢ تأكّد ان باب الشرعية الدولية صار مفتوحاً على مصراعيه في ظل رغبة أوروبية ظاهرة للاعتراف بالجمهوريات التي نزعـت عن نفسها الصفة اليوغوسلافية. تحدّد الخامس عشر من يناير موعداً للاعتراف من قبل المجموعة الأوروبية باستقلال أي من هذه الجمهوريات مع التركيز بصفة خاصة على سلوفينيا وكرواتيا بدعم من المانيا التي حملت لواء الاعتراف في ردهات الدبيلو ماسية الأوروبية. الموقف الصربي المليء شعوراً بالمارارة لخصته تصريحات رسمية عدّة مفادها «نحن لا نطالب بأكثر من الحفاظ على وحدة دولتنا. لسنا دعاة انفصال». ردّدوا اتهامات عدّة لدول المجموعة الأوروبية وعلى رأسها المانيا. قالوا «انهم لا يريدون وحدتنا. يبذلون كل جهدهم لاتمام مشروع الوحدة الأوروبية. في الوقت ذاته يبذلون كل جهدهم لقطع اوصال يوغوسلافيا الاتحادية. باختصار ان ما يحدث هو انفصال هنا ووحدة هناك». عشت هذه الأيام العصيبة في شوارع بجراد وزغرب وأيضاً سراييفو • عناداً ومرارة في الأولى.. تحدياً وألاماً في الثانية.. وفي الثالثة تلوّح بورقة السلام وثقة كبيرة في المستقبل. ادرك الجميع في تلك المرحلة الفاصلة ان الصرب يسبحون ضد التيار. فالدستور الاتحادي نفسه يعطي الجمهوريات



شاهد على مأساة البوسنة

المنخرطة في الدولة حق الاستقلال مشترطاً سبيل الحوار لا الحرب. حوارات كثيرة مع دبلوماسيين أجانب ومسؤولين تبين من خلالها أن الصرب يعرفون مثل غيرهم أن الاتحاد مآل إلى الانفصال. كل ما هناك انهم يريدون قضم أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الواقعية خارج حدودهم، ومعاركهم في كرواتيا والبوسنة والهرسك تؤكد هذا الخطط.

ارتكتزت الدبلوماسية في معالجة الأزمة مع كرواتيا وسلوفينيا إلى رؤية محددة للموقف الأوروبي. لوح طرفا النزاع في (يوغوسلافيا، تيتو بورقى الاقتصاد والدين على حساب الشرعية والمواثيق الدولية. منذ بدء الصراع مع الكروات وتحديداً في منتصف عام ١٩٩١ حينما أعلنا استقلالهم، بدأ للصرب أن أوروبا الساعية إلى تجسيد حلم الوحدة نهاية عام ١٩٩٢ ستتصدى لنزغرب لعدة عوامل أبرز هذه العوامل عدم تكريس سوابق انفصالية تدعم اتجاهات غرب أوروبية مماثلة كالجيش الجمهوري الأيرلندي، والباسك الإسبان والفرنسيين، والكتالان الإسبان. لقي التصور الصربي فشلاً ذريعاً واندفع القطار الأوروبي خلف القاطرة الالمانية الأكثر حماساً لاستقلال كرواتيا. فقد بذلت بون جهداً كبيراً وبذلت استماتة على هذا الطريق لمصلحة استراتيجية لا تخفي على أحد. رأت أن وجودها كدولة موحدة تبحث عن دور يتلاءم وامكانياتها وتاريخها يستلزم البحث عن منافذ بحرية أكبر من ميناء هامبورج المطل على الأطلنطي. ووجدت ضالتها في ساحل بحر الادرياتيك الذي تملك كرواتيا أغلب شواطئه. كرواتيا الكاثوليكية لاقت دعماً ضخماً من الفاتيكان بمواجهة صربيا الارثوذكسية. كان في ذلك تفسيراً امنياً لدعم غرب أوروبا لكرواتيا. شذ عن ذلك اليونان الارثوذكسيتين إلى تفهم أن لم يكن تأييد صربيا. الموقف اليوناني يفسره أكثر مخاوف أثينا التي نشأت بعد إعلان جمهورية مقدونيا الاستقلال وتهديد ذلك للأمن القومي اليوناني.

هذا هو ملخص الموقف الذي يمسك بخناق الأزمة ويزيدها توبراً مع مرور الوقت. ادركت وانا في طريقى الى بلجراد اننى في الطريق الى عاصمة صربيا وليس الى عاصمة يوغوسلافيا التي ظهر واضحاً ان عقدها ينفرط دون ان تملك إلتقاط حباته المتناثرة او جمهورياته التي أثرت الانفصال.

مطار بلجراد

وصلت مطار بلجراد قادماً من باريس والعام ١٩٩١ يتنفس ساعاته الأخيرة والشارع يعيش أجواء أعياد الميلاد المشوّبة بقليل من أحزان الحرب وهمومها.

الخريطة اليوغسلافية مكونة من ست جمهوريات، ثلاث منها تمثل المفاتيح الرئيسية لفهم الموقف بشكل يسمح بالتعريم على سائز ملامع وتضاريس الخريطة التي تودع التاريخ، أعني بذلك صربيا، وكرواتيا، والبوسنة والهرسك في بلجراد وربوا حلم الدولة الاتحادية التي ظلت تقطع بشكل أو باخر هيمنة صربية على صناعة القرار. في زغرب أجمع الشارع على خيار الحديد والنار للانسلاخ عن الجسد الاتحادي والاكتفاء بحدود الجمهورية الكرواتية. في سراييفو تشبت القيادة ومعها الشعب بخيار السلام كسمة تاريخية للتعايش في جمهورية البوسنة التي تعرف أقليات دينية ضخمة.

استهلكت جولتي ذات الاتجاهات الثلاثة بارادياً ببلغراد أحسّس ذلك السطح الساخن الذي يموج بالانفعالات والاحباطات والاصرار. بلجراد يناير ١٩٩٢ تعيش بالفعل حكاية أو قصة ذات واقعين مختلفين، واقع الانتقام الفيدرالي السادس رسمياً باعتبارها عاصمة اتحادية للدولة التي أرساها تيتو وفجرتها حقائق التاريخ، وواقع الانتقام الديني والعرقي كعاصمة لجمهورية صربيا الارثوذكسية، وهو الشعور الموجود في الشارع وكروسته الحرب الدائرة على الحدود مع كرواتيا.

الرحلة من بلجراد إلى زغرب.. من صربيا إلى كرواتيا، لم تعد رحلة داخل الوطن، بل رحلة تبدأ من يوغسلافيا وتصل إلى المجر وتنتهي في يوغسلافيا، فليس هناك ثمة وسيلة للاتصال المباشر على مستوى المواصلات وأيضاً البشر تحت واقع الثارات والدم وواقع الدين والجغرافيا والتاريخ. الأزمة مع كرواتيا ليست اللغم الوحيد الموجود خارج الحدود أو على الحافة الصربية، الغام الداخلي عديدة أبرزها إقليم كوسوفو حيث تعيش أغلبية من المسلمين تعدادها نحو مليوني شخص من أصول البانيا. فأجواء الحرب الصامتة تخيم على الإقليم الذي يخلو تقريباً من المصانع ويتنفس فقراً ويرقد فوق مناجم الفحم ويختال بزراعاته التوفيرة. كوسوفو لغم الداخل لا يعرف اختراع الشوارع المرصوفة إلا ذلك الشارع المتد عبر أراضيه ضمن شبكة المواصلات اليوغسلافية السريعة، وبعض الشوارع الأخرى.

كوسوفو يوغسلافيا صورة أخرى للبانيا أوروبا. كلّاهما الأنفُر داخلي محيطه الجغرافي، وكريشتينا العاصمة شاهد على حالة الترقب والتوجس تجاه بلجراد. اعدامات طال المسلمين على الوزن والقافية الشرق أوسطية، تم ضبط تنظيم ارهابي سرى في كوسوفو يخطط لقلب نظام الحكم ثم تجىء المحاكمة اياها، وغالباً ما يتم بطريقة «تنظيم.. فمحاكمة صورية.. فاعدام» دون أن يسمع العالم شيئاً.. لا منظمات حقوق الانسان ولا الأمم المتحدة.. ربما لا يسمعون أو لا يريدون السمع!

الواقع العربي ممزق بين رغبة حقيقة في البقاء على يوغسلافيا كصيغة جامعة لكل الجغرافيا والبشر المنتدين للعلم ذي الألوان الأحمر والأبيض والأزرق والنجمة. الواقع يشعر بمراة شديدة

شاهد على مأساة البوسنة

من الانقلاب الكرواتي بتاريخه المتعاطف مع ألمانيا النازية. ودولة كرواتيا التي اقيمت وقت الحرب العالمية الثانية مؤيدة وداعمة للزعيم الألماني ادولف هتلر. عادت أخيراً ظاهرة الحزب السياسي المسلح حتى أستانه. ظهرت مجدداً ميليشيات الاوستاش الكرواتية الدموية التي اختفت حتى مع الرئيس فرانسيو تودجمان. في المقابل ظهرت ميليشياتها الصربية التشتتية تمثل الاشتتان عصباً رئيسياً في البنية العسكرية للجمهوريات خاصة كرواتيا. الصربي من جهتهم يعتبرون عودة الاوستاش عودة للنزعنة النازية ويؤكدون ذلك بالأهمية القصوى التي توليهما ألمانيا - حتى في غير ظل النازية - لأنفسهم أو استقلال كرواتيا.

الصربي الأقرب إلى الشرقيين بآياتهم وسلبياتهم يفتخرن بأنفسهم بمواجهة اتهامات كرواتية لهم بالكسل والتخلف. يتمتعون بروح الدعاية ومنفتحون وأصحاب تاريخ قديم وعلاقات دبلوماسية بين مملكتهم في بداية القرن وبعض الدول العربية. يعتبرون أنفسهم حماة المشروع اليوغسلافي الاتحادي رغم انقلابهم على زعيم التوجه جوزيف بروز تيتور الذي نزع عن صورته من الوزارات والجهات الرسمية في العاصمة وبقيت فقط في مطاعم المسلمين القليلة بيلجراد.

اصدقاء الأمس المستشارون.. المعاونون، دعوا لنقل قبه إلى كرواتيا التي رفضت - بدورها - استقبال أحد ابنائها الذي غادرها حياً وخسرها ميتاً. وسط الصراعات بين الغربيين ظهر بعض المتقاعدين بعدة المياه إلى مغاربيها. انتى ماركونيفيش اللقب بجورجيانشوف يوغسلافيا، سعي حتى اللحظة الأخيرة وأجرى إصلاحات اقتصادية حققت نتائج طيبة، لكن الصربي خذلوه بالأطماء السياسية، وتخل عنده الكروات بالانقسام. سقط وحيداً منبوذاً من الجانبيين ومع مرور الوقت وتوالي الاعتراف بكرواتيا وغيرها اتسعت الهوة وتباعدت المسافات بين الواقع الصربي وال Kroavatiه وظل الاقتصاد أحد الرهانات الباقية للاحتفاظ بالحد الأدنى من التزامات الجوار. إذ تشير الإحصائيات إلى إجمالي ديون مستحقة على الجميع - اتحاديين وإنفصاليين - قيمتها ٢٥ مليار دولار. ويشور تساؤل كبير لدى الدبلوماسيين الأجانب في بلجراد حول كيفية التسديد. هناك أجماع على أهمية اشتراك الجميع في تسديد الديون، فال المشكلة تكمن في الامكانية والكيفية. امكانية التزام بلد تستنزفه الحرب بدفع هذا المبلغ الضخم، وكيفية مشاركة الآخورة الأعداء في تحمل المسئولية والأقساط وبأى نسبة. وهناك سؤال آخر يطرح لدى السياسيين الصربي وأيضاً الكروات حول التعويضات التي يجب دفعها عن ممتلكات اللاجئين من الجانبيين.

الحقيقة السيئة

تتذكر بلجراد جيداً الحقيقة السيئة السمعة في تاريخ زغرب، يقول الصربي أن «جمهورية كرواتيا الحرة» التي أعلنت بتأثير ألمانيا النازية شهدت ابادة جسدية ضد الصربي. ففي معسكر واحد بمدينة ياسنو فاس تم قتل أكثر من ٣٠٠ ألف صربي وبهودي وفجروا «سجينار» وأخرين ويؤكدون أن هذه الأخطار قائمة حالياً بفعل النزعنة الكرواتية النصرية. فالصراع - من وجهة نظرهم - يتم بين السلطة الكرواتية والشعب الصربي، ويسمونه ارهاب السلطة الكرواتية ضد الشعب الصربي الذي يعيش داخل حدود كرواتيا ويتمثل في الهجوم ضد القرى الصربيّة بقذائف ١٢٠ ملليمتر، وذبح السكان، وعندما يتحرك الفلاحون الصربيون داخل كرواتيا فإنهم يتحركون للدفاع عن أنفسهم. لاكثر من ذلك انهم ينفون أية مساعدة عسكرية اتحادية للشرطة الصربيّة في

كرواتيا، وإنما يقتصر أمر المساعدة فقط على الطعام والمال والمواد الطبية. المسؤولون الصرب يواصلون شرح موقف صربيا أو موقف يوغسلافيا الاتحادية الآيلة للزوال ويقولون إنهم لا يعارضون حق تقرير المصير للشعب الكرواتي وليس لديهم مانع في إقامة دولته الوطنية والابتعاد عن يوغسلافيا، كل ما هناك أنه يجب ألا يأخذ الكروات منهم جزءاً من الشعب الصربي الذي اختار الصيغة الاتحادية. ويواصل المسؤولون عرض أدلةهم قائلين أن منطقة كرايني - على سبيل المثال - الواقعة داخل كرواتيا ترحب في أن تكون جزءاً من صربيا أو يوغسلافيا، يردون على اتهامهم بالسعى لتأسيس صربيا على حساب الآخرين بأن صربيا تعمل على استمرار يوغسلافيا ومواجهة الانهيار. ويتصدون بالرفض لطلاب الالبان في كوسوفو بالاستقلال عن يوغسلافيا، باعتبار أن الشعب في كوسوفو يمثل أقلية قومية البانيا وهذا وحده غير كاف للاستقلال، فلا يوجد التزام من الأمم المتحدة أو مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي أو من أي جهة أخرى يشير إلى حق أقلية في إقامة دولة خاصة بها، وإذا ما حدث ذلك في تكساس، فإن المكسيكيين على الحدود الأمريكية - المكسيكية سيطابلون بضم جزء من تكساس للمكسيك، وهو أمر غير لائق بالتأكيد سواء كان في الولايات المتحدة أو يوغسلافيا.



سلوبودان ميلوسيفيتش

سلوبودان ميلوسيفيتش الذي ارتبط اسمه بقيادة صربيا وقت الأزمة لا يعتبر الكروات في البوسنة والهرسك أقلية، رغم أنهم يشكلون ١٥٪ من إجمالي السكان، فهم شعب وكل الشعوب اليوغسلافية داخل الاتحاد تتمتع بحقوق متساوية، لذلك لا يمكن اعتبار أي منها أقلية مهما كان حجمها وموقعها، وهل يتنافى هذا الموقف مع موافقته على حق تقرير المصير في كرواتيا؟ يقول: في هذه الرحلة السريعة داخل عقل أهم مفاتيح الأزمة (اليوغسلافية) أن حق تقرير المصير محفوظ للكروات وليس المقصود من ذلك الحدود الإدارية لجمهورية كرواتيا التي لم تكن دولة داخل هذه الحدود وسط غبار الأزمة

استكشف بعض ملامح التحرك الصربي المخالف براء الشرعية الدولية والمواثيق والمعاهدات، فهموا مبكراً القرار اليهودي النافذ في كبريات عواصم العالم، ربما كان التقارب مع إسرائيل ورقة رابحة في معركة دائمة.. معركة بقاء وحفظ على الدولة، هذه الرؤية قد تفسر التلهف الصربي كما الاسرائيل على إعادة العلاقات بين الجانبين، تحركت إسرائيل والتقطت الخيوط المناسبة للبدء مع مختلف الفرقاء كل حسب طاقته وحاجته وأمانية السياسية، ذهب وزير الأسكان السابق ارييل شارون إلى بلجراد، وتم التعاقد مع شركتين كبيرتين لإقامة مساكن جديدة في الأراضي العربية المحظلة لاستقبال المهاجرين اليهود، السلاح الإسرائيلي جاهز - بطبيعة الحال - لمن يقدر على الدفع والدعم، وتحديث المجلة الشهرية لوزارة الدفاع عن التواجد الملحوظ للسلاح الإسرائيلي في يد الكروات، وإسرائيل تدرك جيداً أن مستحيلات تيسو تحولت إلى ممكنتان على يد ميلوسيفيتش الصربي وتجدهما الكرواتي.

يحرض اليهود اليوغسلاف على التزام الحياد بمعنى عدم اثارة العداوة مع أي جمهورية

شاهد على مأساة البوسنة

يعيشون بها، وتقلص العدد بالتحديد في جمهورية كرواتيا عندما هربوا منها إلى فلسطين وقت قيام «جمهورية كرواتيا الحرة» الشائع. انهم لا يرسلون ابناءهم للحرب في مختلف الجبهات. احياناً تحدث بعض التصرفات هنا أو هناك على مستوى فردي وقد شاهدت في جبهة الحرب بمدينة كارلوفاتس - حيث تدور المعارك - راية عليها نجمة داود كتعبير عن التضامن من قبل الأقلية اليهودية مع الأغلبية الكرواتية.

نازي الأمس يختلف عن نازى اليوم - على الأقل - فيما يتعلق بالمسألة اليهودية وعمليات التخريب السياسي والاقتصادي للوطن من الداخل، العقيد دراجان قائد الاوستاش الكروات يتهمه الصرب بالنازية. تأثر على الجميع حتى القيادة السياسية الكرواتية التي اضطرت لاعتقاله قاتل وقواته بضراوة في مدينة فوكوفار، ولم تسقط إلا بعد انسحابه منها، وكسب تعاطف الشارع الكرواتي وقدم نفسه كرمز وطني يدافع عن تاريخ كرواتيا . ادى ذلك الى اهتزاز صورة الرئيس توجمان الذي يتم لهم بالتردد والتآخر في حسم الموقف مع الصرب.

هناك أزمة من نوع آخر مرشحة للاندلاع بعد أن تخضع الحرب أو زارها، فالمعتقد ان إسرائيل ستتحرك للحصول على تعويضات من كرواتيا عن ممتلكات اليهود الذين هاجروا هرباً من «جمهورية كرواتيا الحرة» لكن المصدر ذاته يرى ان تل أبيب ايضاً تعصر يوغسلافيا عصراً لصالحها، لذلك انتزعت الاعتراف من صربيا او يوغسلافيا، وأهم دلالات الاعتراف المغزى السياسي والعميق باعتبار ان يوغسلافيا أحد مؤسسي حركة عدم الانحياز.

اللغم الثاني

اللغم الثاني ألباني الهيبة والمضمون، فقد ظل الألبان المسلمون على مدى سنوات الاتحاد اليوغسلاف يعانون الحرمان والاضطهاد والفقير، نسبة غالبة من رجالهم يعملون بالخارج للحصول على لقمة العيش، والدخول إلى حدود كوسوفو يعني خروجاً من الحدود اليوغسلافية إلى العالم الثالث بكل مأساه ومعاناته. تقدم هذا الأقليم الزراعي الغنى بالفحم مؤخراً للمجموعة الأوروبية بطلب للاعتراف حمل توقيع ابراهيم روجوفا رئيس حزب كوسوفو الديمقراطي.. الاحصائيات الدقيقة تذكر ان عدد سكان كوسوفو الإجمالي يبلغ ٢٠ مليون نسمة بينهم ٩٠٪ ألبان ينقسمون إلى ٨٢٪ مسلمين و ٨٪ كاثوليك، ويشكل الصرب نسبة العشرة في المائة المتبقية، انتهك حقوق الإنسان له مظاهر عدّة بينها الطرد من الوظائف وهناك نسبة ٨٥٪ من السكان الألبان المحروميين من حق العمل لدى الحكومة، وانخذلت الحكومة الصربية - التي تضم أقلية كوسوفو - قراراً منذ حوالي عام يمنع التدريس باللغة الألبانية، مما اضطر التلاميذ والطلاب إلى البقاء في منازلهم عدا قلة قليلة جداً واصلت الدراسة باللغة الصرب - كرواتية أو اللغة القومية التي لا يجيدها الألبان.

الشائع ان الألباني الذي يعيش في صربيا أو كرواتيا يعرف من لكته وعدم اجادته اللغة الصرب - كرواتية، وجد الآباء حلاً لابنائهم في الشتات سواء داخل الوطن في البوسنة والهرسك وكرواتيا أو خارج يوغسلافيا بالالتحاق بالمدارس الألبانية، والمعروف ان المهاجرين الألبان في الخارج منظمون بشكل جيد جداً وأصحاب نفوذ في دول المهجن، والمواطنون الألبان يشكلون العمود

الفقرى للأعمال الدينية في الجمهوريات اليوغوسلافية الأخرى فهم يشتغلون في أعمال القمامنة ومسح الأخذية وحراسة السيارات، لقد أدت المظاهرات داخل كوسوفو إلى اعدامات راح ضحيتها عدد كبير من المسلمين، وفي خارج يوغسلافيا أفرزت حرباً للحكومة الصربية دون أن يغير ذلك من الأمر شيئاً، والألباني ينظر للغة اليوغوسلافية كلغة أجنبية، وهو شديد الاعتداد بقوميته ودولته البانيا، وعادة ما تظهر على التحرك السياسي للشارع في كوسوفو بصفة الدولة الألبانية، ويعتقد أن النزعة القومية في الأقليم تحمل المرتبة الأولى قبل الدين، هذا ليس ربما جاء نتيجة لحملة التجهيز التي قادها الحزب الشيوعي اليوغسلافي على مدى عقود طويلة. تعتبر صربيا كوسوفو جزءاً لا يتجزأ من صربيا بالامس القريب. ووفقاً للدستور كان أبناء الأقليم ينتخبون ممثليهم في البرلمان المحلي، الآن توقف كل شيء وانتهى هذا الشكل من إشكال المشاركة في الحكم، وقد ظلت كوسوفو جزءاً من البانيا إلى أن الحقها مؤتمر لندن بعد الحرب العالمية الثانية بدولة يوغسلافيا، وتعرضت البوسنة والهرسك المسلمة لنفس المشكلة في فترة سابقة من القرن الماضي بمقتضى معاهدة برلين - القدسنية. كانت حدود الجمهورية تمتد إلى نصف الجبل الأسود وكامل منطقة السنڌق، وكذلك تقلص ساحلها على بحر الأدریاتيك إلى ٢٦ كيلومتراً فقط بموجب اتفاقيات ما بعد الحرب العالمية الثانية.

عند صربيا إلى اعطاء حواجز للصرب الراغبين في العمل بكوسوفو مثل بدلات السفر والإقامة، لتغيير التركيبة السكانية للأقليم على حساب المسلمين، وضمن حملتها الأخيرة التي شملت الغاء انتخابات الممثلين الألبان في البرلمان المحلي، اطلقت عليهم تسمية جديدة هي «شيبر» لم تعد تعرف بتسمية الألبان. أما سكان الأقليم المتأثرون بالبانيا حتى النخاع فظلوا يعكسون توجهات الحزب الشيوعي البانيا، وبعد الانفراج النسبي والتحوّلات في البانيا على حساب الحزب الشيوعي الحاكم شهدت كوسوفو رواجاً لنفس الخط. في كل الأحوال لم يغير ذلك شيئاً من سياسات بلجراد، فقد عرفت شوارع كوسوفو مشهد الدبابات عام ١٩٨٢ حينما طالب أبناء الأقليم بالحكم الذاتي، واليوم تتواصل حالة ارهاب الدولة بأشكال مختلفة، ويتردد في كوسوفو ان الأقليم راغب في الالتحاق بالبانيا اذا ما تفككت يوغسلافيا بالكامل، وفي الصيغة الكونفدرالية ضمن منظومة تضم الجمهوريات التي تخترها كوسوفو، آخر حلقات التوتر اتهامات صربية بالقبض على تنظيم ارهابي بنفس السيناريyo «إيه» بينما يعرض التليفزيونون الأسلحة المستخدمة واعتقالات شملت عشرين شخصاً.

كل هذه العناصر القديمة والجديدة تصنف واقعاً بالغ التعقيد بصعب معه توسيع احتمالات المستقبل، لذلك يسود اعتقاد بأن الصراع بين بلجراد وغرب الذي يسير في خط متواز مع صراع بلجراد - سراييفو تكتمل حلقاته بصراع بلجراد كريشتينا، وإذا كان الخطان الأول والثانوي يمتدان إلى خارج حدود جمهورية صربيا، فإن خطورة الخط الثالث أنه يقع داخل الحدود.. حدود صربيا التي تصارع في كل الجهات.

حقيقة الجوار

دخلت المانيا النازع وكأنها طرف معنى بالأمر مباشرة ضد صربيا وقوفاً مع كرواتيا في نفس الخندق، دولة ثانية أثرت المواجهة أيضاً لصالح كرواتيا - وإن كان بدرجة أقل - هي المجر. تبادلت

شاهد على مأساة البوسنة

وصربيا الاتهامات، وساد التوتّر، حالة من الارتياح كست بودابست على المستويين الرسمي والشعبي لتدشين جمهورية كرواتيا المستقلة وخروجها من تحت العباءة الصربية - اليوغسلافية. يعود هذا الارتياح الى عوامل تاريخية قديمة صنعتها حقيقة الجوار الغرافي، فقد ظلت كرواتيا جزءا من الامبراطورية النمساوية - المجرية حتى عام ١٩١٨، ولم تعرف اسم يوغسلافيا الا عام ١٩٢٩، لم يخف الصرف استياءهم من الموقف المجرى الداعم لكرواتيا مشيرين في ذلك الى تلقى الاخرة دعما عسكريا من بودابست مما أوجج نار الحرب المشتعلة، يرد المجريون موضحين حرصهم على عدم التدخل في شؤون الغير واقتصر الأمر على المساعدات الإنسانية فقط. تُؤوى نحو ٣٥ ألف لاجئ كرواتي يقيم معظمهم في مخيمات، بينما يقيم نحو ٦ الاف لدى أقاربهم ويشكل هؤلاء عبئا على الاقتصاد المجرى الذي يعيش أصلا حالة معاناة وتضخم يطبع بالامكانيات التواضعة لرجل الشارع يضاف الى هؤلاء ٤٥ ألف روماني لجأوا الى المجر هربا من الظروف الاقتصادية الأكثر صعوبة التي تعانى منها رومانيا.

ويلاحظ المسافر في محطة القطارات الرئيسية في بودابست ان الحرب في يوغسلافيا تلقى بظلالها على حركة المسافرين فقد تحولت العاصمة المجرية الى محطة ترانزيت للفرز العرقي، بالطائفى، الصرب الارثوذكس الفارون من الجحيم الكرواتى، يسافرون باتجاه زغرب - بودابست بلجراد، والكروات الكاثوليك الفارون من الجحيم الصربى يسافرون باتجاه بلجراد - بودابست زغرب لم يعد السفر من الوطن الى الوطن عبر الوطن ممكنا، فقد قطعت الحرب أوصال الوهم الفيدرالى، انتقطعت المواصلات، ووقف الجيشان حائلا دون حركة العبور، أصبح المرور عبر المجر المتاخمة لحدود جمهوريتى صربيا وكرواتيا ضرورة لامفر منها.

في القطار من بلجراد الى بودابست تعرفت على أم صربية يرقد وحيداً الجندي مهندس الالكترونيات في المستشفى نتيجة اصابته بشظايا صاروخ طاللت الملح وكل الجزء الأيمن من جسده، تنتقل بالقطار مرتين كل أسبوع لتزوره ومعها خطيبته في مدينة مجاورة داخل حدود صربيا، وفي محطة بودابست كانت المأساة ذات وجه آخر، زوجة كرواتية وصلت من صربيا وحيدة تاركة زوجها الصربى هناك كى تستقر هى في كرواتيا لا تعرف كيف والى أين يمكن أن تنتهي المأساة، فهما غير قادرين على العيش في صربيا فتتعرض الزوجة للمشاكل، ولا هما قادران على الحياة في كرواتيا فيلaci الزوج المشاكل، تؤكد ان الحل في البحث عن بلد «ثالث». عشرات الآلاف من الزيجات المختلطة بين الصرب والكروات تعيش حالة من الهلع الاجتماعي ومصيرها تلفه الغيم، رغم ذلك فإن الاتجاه السائد في الشارع الصربى يلخصه أحد ركاب رحلة بلجراد - بودابست - زغرب بقوله «لأنريهم في الاتحاد وكفانا المشاكل التي جلبوها لنا» أما الكروات فالسؤال عن رأيهما لا يعني لديهم الكثير، حيث سبق السيف الصيفية الفيدرالية وأعلنت الدولة المستقلة واكتسبت الاعتراف من دول عديدة.

وسط حمى النعرات القومية التي يتراجع في ظلها العقل وكذلك القانون يبقى الاقتصاد بحساباته التي لا تخيب، يطل الاقتصاد برأسه عبر الصيغة الفيدرالية على طريقة الزعيم اليوغسلافي جوزيف بروز تيتتو، فقد عمد وبذل واسع الى ربط القوميات خاصة الصربية

والكرواتية بواسطة اقتصاد متكامل يقوم ببعضه على بعض، ما ينتج هناك يصدر إلى هنا، وما ينتج هنا يصدر إلى هناك، بل أن مصانع كاملة في جمهوريات مختلفة يقوم كل منها بانتاج أجزاء متخصصة يتم تجميعها كمنتج واحد في النهاية، هذه الصيغة من العلاقات الاقتصادية مازالت قائمة تحت سحب دخان المعارك ووسط رائحة البارود وحمامات الدم.

على المستوى الدستوري يبدو الصربيون حتى الرمق الأخير من أجل الحفاظ على شكل الدولة الاتحادية، فمجلس الرئيس أعلى سلطة في البلاد لم يعد اتحادياً من الناحية الواقعية، صحيح أنه ينعقد ويصدر القرارات ويحاول اضفاء الشرعية على تحرك الجيش الصربي، لكنه لا يستند إلى شرعية حقيقة في كل هذه الخطوات، المجلس يتكون رسمياً من ثمانية أعضاء يتعاقبون على منصب الرئيس، ويمثل سائر الجمهوريات الاتحادية، هناك مثلث عن كل من البوسنة والهرسك وسلوفينيا، وكرواتيا، ومقدونيا، وكلهم يطالبون ويسعون تحويل الاستقلال والانفصال إلى حقيقة، لذلك امتنع الجميع عن حضور ممثليهم في مجلس الرئيس، وبقي أربعة أعضاء منهم ثلاثة عن صربيا وواحد عن الجبل الأسود التي تتبع عادة موقف صربيا، وتمثل الجبل الأسود - الجمهورية الوحيدة التي لم تطالب بالاستقلال حتى الآن - أهمية قصوى لصربيا نظراً لأنها تضم ميناء بار الضخم الذي يمثل منفذ بحرياً حيوياً للصرب لا يمكن الاستغناء عنه خاصة في الظروف الحالية.

التصدي.. المواجهة

يلخص الكروات صراعهم مع الصربي في أمرين اساسيين. أولاً: التصدي لمحاولات إعادة تأسيس دولة صربيا الكبرى على حساب كرواتيا وغيرها من الجمهوريات. ثانياً: المواجهة بين قيادة شيوعية صربية أشعلت نار الحرب ولبيالية كرواتية صاعدة تبحث عن الاستقلال.

يشير الكروات إلى «النهج التوسيعى الصربي» وابرز مظاهره الغاء الحكم الذاتى لإقليم كوسوفو الواقع داخل جمهورية صربيا وضمه إلى دولة صربيا. بذلك أعيد تشكيل الحدود الداخلية ليوغسلافيا في انتهاء الواقع الذى اقره «المجلس المعادى للفاشية» اثناء الحرب العالمية الثانية. اضافة إلى ذلك اعلن ضم جمهورية الجبل الأسود وهى في الاصل جمهورية تتمتع بالاستقلال الذاتى داخل النظام اليوغسلافي الاتحادى. وتشكل الجبل الأسود حالياً أهمية قصوى لصربيا حيث توفر لها المنفذ البحري الوحيد، ميناء بار. تتوافق الحجج الكرواتية استناداً إلى عنصر الزمن والتوقيت في التطورات المأساوية التي تدور على ارض يوغسلافيا سابقاً فقد تزامنت تحركات بجراد لتأسيس صربيا الكبرى مع التحولات الضخمة التي سادت أوروبا الشرقية. وبينما اتجهت مجموعة الدول الاشتراكية سباقاً إلى تبني النظام الرأسمالي، اتجهت بجراد لتأسيس صربيا الكبرى التي عرفها التاريخ في فترات سابقة.

يؤكد الكروات تعثر عجلة التنمية في صربيا وانتشار العجز في الجسد الاقتصادي بسبب تبني الاشتراكية أو الشيوعية. يرهنون على معاناة الأقلية بالمستوى المعيشى المردى لكل من كوسوفو ذات الأغلبية المسلمة والجبل الأسود. في الوقت ذاته يوضحون ان الأقلية الصربية تتمتع بالامان في كرواتيا عكس الأقلية الكرواتية في صربيا. وتذكر فيسنا شكاره المتحدثة باسم رئاسة الجمهورية الكرواتية ان الصربي يشكلون اغلبية في ١١ مدينة كرواتية هي: بينكوفاتشى، ودونى لاباتش،

شاهد على مأساة البوسنة

ودفور، وجليتا، وجراتشاس، وكنين، وكوستانيتشا، وأوبروفاتش، وتورنيتشا، وفوجنيلك، وفرجينهورست.

اقل مستويات الأغلبية تقع في مدينة بينكوفاتش بنسبة ٤٥٪، وأعلاها في مدينة دوني لاباتش بنسبة ٤٩٪.

تبليغ المساحة الإجمالية لكرواتيا ٥٣٨ الف كيلومتر مربع، ويسكنها ٧٦٠ مليون نسمة، يعيش ٥٦٠ من هؤلاء في المدن، وتتأثر العاصمة زغرب بعشرين في المائة من إجمالي السكان بقطن ٨٪ من الكروات ● في كرواتيا، و٢٪ خارجها اغلبهم في جمهورية البوسنة والهرسك المسلمة، يبلغ مجموع غير الكروات في كرواتيا ٧٦٠ الف نسمة يشكلون نحو ١٥٪ من السكان، يمثل الصرب ٩٪، و١٪ من البوسنة والهرسك، و٥٪ لكل من الجريين والسلوفينيين، و٤٪ إيطاليين، و٣٪ لكل من الإبلان والقوقان، و٨٪ لأقليات أخرى من بينها الغجر. تذكر فيسنا شكاره أيضاً أن بلجارد استغلت حوالي ٢٪ من الأقلية الصربية لأشعل الحرب في كرواتيا. تمثل هذه النسبة العسكرية وأسرهم الذين شكلوا رأس الحرية للجهاد العربي في كرواتيا، بقية النسبة من الأقلية الصربية وتقدر بـ ١٪ تعيش في كرواتيا دون أية مشاكل.

تظهر الوثائق الكرواتية أن القرن العاشر شهد مملكة كرواتية متاخمة لصربيا وبلغاريا. في القرن الرابع عشر . اظهرت نفس الوثائق وجود كرواتيا وصربيا كيانين منفصلين تقع بينهما البوسنة، وتشير خرائط عام ١٨٤٨ إلى وجود بلجارد من جهة وكرواتيا من جهة أخرى تفصل بينهما أجزاء من الدولة العثمانية ، ثم بدت على الخريطة مملكة يوغسلافيا التي تضم الغربيين صربيا وكرواتيا. الصراع الدائر عجل بتتجهير البرистوريكا التي اطاحت حتى بمختبرها ميخائيل جورباتشوف، تجسدت ملامحه على نحو واضح وملموس في بدايات عام ١٩٩٠، يرى المسؤولون الكروات أن الانتخابات الحرة في الجمهورية التي اطاحت بالحزب الشيوعي، فجرت غضباً حقيقياً لدى الحزب في صربيا تبليغ المواجهة بين نظام شمولي في بلجارد وأخر تعددي في زغرب. في مايو ١٩٩٠ مع ظهور الأحزاب عام ١٩٨٩، تمكن أقواها وأكثرها شعبية حزب الاتحاد الديمقراطي الكرواتي (هدن) من اكتساح الانتخابات البرلمانية، حصل على ٢٠٥ مقاعد من الإجمالي البالغ ٣٥٠ مقعداً.

دخل الاتحاد الديمقراطي في ائتلاف مع عدد من الأحزاب لتشكيل الحكومة، أهمها الشيوعي والحرار والوطن..

يفتخر الكروات أن لديهم وزيراً من الأقلية الصربية هو جيفكويز بازيتش. كما ان نائب رئيس الوزراء زرافكو توماكس من الحزب الشيوعي رغم ان انتخابات مايو ١٩٩٠ وضعنت نهاية فعلية للهيمنة الكاملة للحزب الشيوعي، الا انه حصل على نسبة جيدة من الاصوات انعكست على التشكيل الوزاري وتركيبة الائتلاف، الرؤية الكرواتية تذهب الى ان نفس الفترة شهدت توجهها صربيا قاده سلوبيدوان ميلوسوفيتش ● لتأسيس الدولة الكبرى في عكس الاتجاه السائد في القارة نحو «النظام الأوروبي الجديد» كما يسميه الكروات، لا يخفى هؤلاء طبيعة انتمائهم

● في يوغسلافيا (سابقاً).

● رئيس جمهورية صربيا آنذاك

السياسي في المرحلة الجديدة التي حسمت لصالح دولة الوحدة الأوروبية. ويراهن الساسة الكروات على أهمية تنظيم علاقة خاصة بغربي أوروبا بشكل أو بآخر. يرون أنها المجال الحيوي لکرواتيا سياسياً واقتصادياً. وليس من قبل المصادفة ارتفاع علم أوروبا الموحدة اللبناني اللون بنجماته الاثنتي عشرة إلى جوار علم كرواتيا في كل أنحاء زغرب. ويقول لدى الزائر إيهاء قوى بأن الكروات يتمسون لو كانت النجمة الثالثة عشرة من نصيبيهم إنهم يتظرون من أوروبا الكثير لكن الأخيرة تقدر الأمور بشكل مختلف فلكل حساباته ومصالحه.

بحار الدم

الشعور السائد في الشارع الكرواتي - رغم ذلك - مليء بالمرارة تجاه أوروبا التي تركت بحار الدم سائلاً في خطوط المواجهة الممتدة مع الصرب. الإجابة المعتادة عن السؤال التقليدي «هل تعتقد أن أوروبا ستتدخل جدياً وإن هناك نهاية وشيكة للحرب؟».. «نأمل ذلك رغم فقدان الثقة في إجمالي الموقف الأوروبي» هكذا يجب رجل الشارع الذي يعيش أجواء الحرب منذ ١٩٩١. اجولة الرمل والدعامات الخشبية في الفتحات الأرضية للبنيات، أوراق اللصق على الزجاج، اللون الأزرق يغطي كشافات السيارات، الجنود المسلحين المجهزون بأجهزة الاتصال اللاسلكي يجوبون الشوارع، المجندون يحملون متعتهم العسكرية متوجهين إلى موقع القتال، صفارات الإنذار تدوى بين الحين والأخر حتى في قلب زغرب، انتشار حمى ارتداء المعاطف العسكرية كأحدث صحيات الأزياء الكرواتية، انتشار الباعة الجائلين الذين يعرضون الباليريهات والشارات العسكرية، بعض المهرجين يقيمون في فنادق العاصمة وتوزيع (كوبونات) الطعام يتم قبل كل وجبة، لا يبدو أن الشارع مل من طول الانتظار بقدر ما يراوده احساس بالمرارة من الوقوف وحيداً أمام الجيش الصربي باماكنياته الضخمة.

في إسكندرية يتيكو المتحدث باسم وزارة الإعلام الكرواتية تشرح الهجوم الذي شنه الطيران الصربي على مقر الرئيس فرانسيو توجمان في السابع من أكتوبر. كان في اجتماع مع القادة السياسيين على مأدبة عشاء وتحرکوا إلى قاعة الاجتماعات، مرت دقيقةان فقط وأغار الطيران الصربي على القاعة المخصصة للطعام، أطلق صاروخين واسقط عدة قنابل، تؤكد سكاناً يتيكو ان معلومات الجيش الصربي كانت دقيقة للغاية وجاء فارق الدقيقتين قدراء، ليتجو الرئيس من الموت. الصرب من جهتهم نفوا الاتهام قائلين ان الكروات دبروا الهجوم، ليكتبوا تعاطف العالم مؤكدين عدم تورطهم في هذا الهجوم. كانت أعمال الترميم على قدم وساق دون ان تخفي بعض الاشار الباقية من الغارة في شارع اوباتيكا الذي يضم مقر الرئاسة والعديد من المباني الاثرية، تم ترميم واصلاح معظم الاضرار، لكن توديغان اننقل منذ الحادث إلى فيلا زغريا المقر السابق للرئيس تيتور الذي كان ينزل فيه اثناء اقامته في كرواتيا مسقط رأسه. يصف احد العسكريين المقربين البديل بأنه هدف مثالى للطيران المعادي. وتقع فيلا زغريا في اطراف زغرب على مارتفاع عال لا يمنعها من الهجوم الجوى سوى سوء الاحوال الجوية.

الإقامة في فنادق زغرب تعنى الاختلاط بالمهجرين وسماع صفارات الإنذار. وسواء كان الزائر في فندقه او في الشارع فلا حديث الا عن السياسة وال الحرب وأخر التطورات والتحليلات، لا احد يعتقد في حل عاجل او سحرى، انهم مستعدون للازمة لوقت طويل رغم بعض الازمات في سلع بعضها،

شاهد على مأساة البوسنة

خاصة الصابون ومواد التجميل، فالوقت او الوضع عموما لا يفرض اهتماما خاصا بالتجميل، ومع ذلك لا تنسى حواء في كرواتيا المساحيق والمستحضرات، الحال تشهد حركة رواج وزحام امام وجهات العرض وحركة تراجع في عدد الزبائن بعض السلع ارتفعت اسعارها الى عشرة امثال الملابس على سبيل المثال ترتفع اسعارها شهريا حوالي ٢٥٪، المرتبات ثابتة لا تتحرك تقريبا بمتوسط شهري مقداره ١٠ آلاف دينار، الدولار يساوي نحو ٨٠ دينارا كرواتيا (العملة الجديدة)، فيما يساوي حول ٦٠ دينارا بوغسلافيا او صربيا ● على الزائر ان يتخلص من اي من العملتين اذا اتجه الى الجمهورية الاجرى لأنها منوعة من الصرف باسم الحرب، زغرب المدينة السياحية تتنفس عبق التاريخ وبأرواد القنابل سواء بسواء لا يفصل بينهما الا امل في انتهاء الحرب باسرع وقت لتأتي الانتخابات الرئاسية الجديدة، وتتنفس الحركة السياحية مرة اخرى خاصة على يد الالمان، اكثر العملات الاجنبية رواجا هي المارك واكثر اللغات الاجنبية انتشارا، الالمانية.

اخذ الحلفاء الاجانب الالمانيا من اجل السياحة والاثار والقيم العليا والمثل النبيلة وايضا من اجل عيون بحر الادرياتيك بسواحله التي تسهل لعب المانيا، العملاق الاقتصادي الالماني يتضاءب بعد طول ثبات، بعد اعادة وحدة الشطرين وانهيار السور البرليني الخارج على قانون التاريخ، العملاق الاقتصادي الالماني يرمي بعينيه الى خط الافق حيث السياسة والدفاع ايضا، فلا يكفيه ميناء هامبورج، يطمح ان يتمتد الى خارج الحدود وربما داخلها - من يدرى؟ - ليستشق التسليم العليل القادم من مياه بحر الادرياتيك، مواطن كرواتي يعلق بقوله «نعرف ان الدعم الالماني لموقفنا يعبر عن مصالح واطماع، ونعرف ايضا اننا قادرون على تبادل المصالح معهم دون ان تتعرض سيادتنا للخطر». وماذا عن موقف فرنسا وانجلترا؟ يستطرد قائلا: «موقف متعدد ناشف له، نتمنى من الدولتين التخلص بالشجاعة والتحرر لنجدتنا». يستاذن المواطن كي يبحث عن ملجاً بعد ان اطلقت صفارات الانذار وخلت المدينة التائهة وسط ظلام دامس من المارة وحركة السيارات.

بعيدا عن زغرب وعلى بعد حوالي ٤ كيلومتر تقع مدينة كارلوفاتس احدى الساحات الساخنة في الجبهة، يتولى الدفاع عنها خطان قتاليان الاول منضبط من الجيش النظامي الذي كان جزءا من الجيش الاتحادي، مسلح بأسلحة دفاعية تكفل له الحفاظ على مواقعه، الصيف الثاني من المتطوعين والاحتياط، التسلیح الاساسي لديه الكلاشينکوف وبعض العربات المدرعة الخفيفة فضلا عن القنابل اليدوية، مدينة مهجورة تكون مسكونة بالاشباح، بلا ماء او كهرباء او غاز او تليفون، برد قارص بلا تفئة، بيوت مهدمة ومحترقة ومهجورة قرب الجبهة تقع معظمها عند خط الدفاع الثاني على بعد خمسمئة متر من الخط الاول وكيلومتر واحد من موقع الجيش الصربي، المقاتلون المتطوعون يتسمون بطبع الهوا، يمكن ان يستاذن احدهم من الخدمة مؤقتا ليحتسي قدحا من الشاي الذي يسمونه تقريبا بنفس تسمية العربية او التركية «تشاي». النفس التركي او الاثر العثماني في الواقع اليوغسلافي واضح للعيان ففي كرواتيا «تشاي» وفي صربيا لا بد من احتساء القهوة التركى في الصباح واحيانا بدون سكر، أما الشاي المحلي فاسمه ايضا عربي او تركى «نعم». ●

صوت المدافع

عوده الى كارلوفاتس التى تعتاد صوت المدفع والصواريخ ارض - ارض وصياح الدجاج المنطلق من حظائر الفلاحين بلا صاحب، احد الشباب الكرواتى المطلع بشكل طيب على مشاكلنا في العالم العربي يقول: «نحن واياكم نواجه استعمارا» يعتقد ان الامل او الحل امريكي الملامع. «لكن سيروس فايس وزير الخارجية الامريكي السابق يأتى الى يوغسلافيا ممثلا للامم المتحدة؟» يجيب بابتسامة خفيفة «ماذا؟! الامم المتحدة مجرد واجهة تعرض فقط ما تطلبه او تقدمه واشنطن لا امل في اوروبا فالحل الامريكي قادم في الطريق». في الجبهة يعتاد الزائر القصف وهدير المدفع وطلقات الآلي، لكن ظهور الطيران امر غير مرغوب فيه بالتأكيد، هكذا استمتعت بتفاصيل اخرجنى من حالة الحيرة التي انتابتني وانا اتابع هذه الحرب، رفيقى الصحفى الاسپانى القادم من اقليم كاتالونيا الذى يعرف ايضا نزعة انفصالية عن الوطن الام، شخصية مرحة محبيه لا يمل الانسان صحبتها. تحدث عن اهمية التطير بطريقة «امسك الخشب». بدا طوال الرحلة مازحا وحسبته كذلك، لكن الواقع يؤكّد انه يؤمن ايمانا حقيقيا بضرورة ان يمسك اي نوع من انواع الخشب حتى ولو كان عود ثقاب، حين اقترب صوت الهليوكبتر المصووب بانقام المدفع ظهر وجهه كما لو كان يريد الهروب حتى من عنقه، اختفت احدى درجات لون وجهه، سالت الجندي الكرواتى اى نوع من الطائرات يعلونا فاجاب بأنه كرواتى، استبدل الصديق ريتشارد ملamus الهلع بابتسامته المحببة مرة اخرى.

عند العودة في محطة قطارات المدينة، دقت صفارات الانذار، نزل الجميع الى اللنجا مرت الخامسة وسبعين عشرة دقيقة موعد وصول القطار المتجه الى زغرب والجميع اسفل مبني المحطة ساعتان وثلاث عشرة دقيقة مرت، ثم نزل موظف المحطة طالبا من الجميع الصعود، فقد اوشك القطار على الوصول بعد زوال الخطير. في اللنجا شاهدت ريتشارد ممسكا بعواد الثقب اية الامر - اذن - لم يكن مزاحا بل ربما عادة اسبانية اصيلة، اعلى رصيف المحطة المشهد مهيب ظلام مخيم تحطمها فقط الاشارات الحمراء الضوئية للسكك الحديدية التي تتناثر على امتداد النظر في الاتجاهين. اكيد.. يجب الا يتمنى الانسان الحرب، لكنها اذا كانت قدراء، يجب الذوبان فيها واداء حقها. يودع الجميع كارلوفاتس وراء ظهورهم ويعطون الرجال مرة اخرى في زغرب حيث المدينة اقرب الى المدينة المتعارف عليها، حركة وبعض الصخب الممزوج احيانا بصفارات الانذار.

ريتشارد بالتجربة والهليوكبتر ليس قلب الاسد، غير ان لديه الشجاعة الكافية ليفسر موقف اسبانيا المتردد من الاعتراف بدولة كرواتيا انداك، يقول ان مدريد يحكمها عاملان:

- مشكلة اقليات الباسك والكتالان لديها، فلا تريد ان تمنع اقلية اعترافاحتى لو كانت في يوغسلافيا، كي لا تشجع الانفصاليين الاسпан على التمادي.

- التأثير الكبير للحكم الاشتراكي الفرنسي على الحكم الاشتراكي الاسپاني في قضایا السياسة الخارجية، لذلك ينعكس تردد باريس على موقف مدريد ترددًا وتحفظًا.

الساسة الكروات يرون في السياسة المخرج الوحيد للازمة. يشيرون الى انه ليس لهم قبل بالقوة العسكرية للجيش الاتحادي او الصربى الذى يعد الرابع في اوروبا. على حدودهم ٢٠٠٠ دبابات

شاهد على مأساة البوس

حديثة، و ٣٠ طائرة . الدمار الذي لحق ببلدهم على ايدي الجيش الاتحادي، لم يحدث مثل الحربين العالميتين الأولى والثانية . عن تلقى السلاح من المجر والمانيا وغيرهما يقولون.. «نحر حالة حرب نسعى لاستيراد السلاح بأى وسيلة ومن اى طرف للدفاع عن سيادتنا، لا احد يملك يمنعنا من التصرف للحصول على السلاح». ليس لديهم طيران وهو عامل حاسم في اى معركة الهدف السياسي للعمليات العسكرية الكرواتية دفاعي، للحفاظ على الارض. الهدف الصهوجومي، لاحتلال الارض. هكذا يقول الكروات.

وماذا بعد الحرب؟ قبل الاجابة على السؤال - يقول الساسة الكروات - لابد من شرح اهداف وهى ثلاثة:

- ١ - تحطيم الجيش الكرواتي.
- ٢ - هدم المنشآت الاقتصادية
- ٣ - كسر اضلاع المدن

يستخلصون من ذلك ان الصرب ربما يدركون ان ما اخذوه من الاراضي الكرواتية سيضطرون للتخلص عنه مستقبلا. كما انهم يريدون ازالة الرموز الكرواتية واخفاء الشخص الوطنية من الوجود. ييدو المستقبل مشرقا سياسيبا بإجراء انتخابات رئاسية ومواصلة تنفيذ العملية الديمقراطية التي عطلتها الحرب اقتصاديا يصعب تصور تعويض ما تهدم على اى القريب، سياحيا هناك اعمال كثيرة في جذب السياح وتوفير مصادر للعملة الصعبة، خاصة كرواتيا كانت تحقق حوالى ٧٠٪ من الدخل السياحي اليوغسلاف. بشريا وقع ١٠ ألف قتيل، زادوا عن ذلك نظرا لعدم توافق احصائيات دقيقة. يمكن ان تتواصل بلا انقطاع اوجه التعصب الاقتصادي الكرواتي - الصربى. اما البشر.. الناس.. اهالى الضحايا فيصعب ان ينسوا بحر الذى سال بين اخوة الامم، يكفي ان مدينة مثل فوروكوفا تهدمت باكمالها وتعرض اهلها للتشريد والموت . يكفي ان الكروات يسعون لاحياء تاريخ قديم. يكفي ان الصرب يسعون لتكريس تارىخ قديم. وبين هذا وذاك تشتعل حرب تهدف الى اعادة تشكيل يوغوسلافيا في ظل النظام الاورا الجديد.

السمكة الذهبية

تقول طرفة يوغوسلافية ان الرؤساء الثلاثة لجمهوريات صربيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك خرجوا في رحلة لصيد الاسماك في احد الانهار . تمكّن احدهم من اصطياد السمكة الذهبية الاصطورية المعروفة بقدرتها على تحقيق الامانى مقابل اعادتها للنهر مرة اخرى. سألت السمه الرئيس الصربى عن امنيته، فطلب منها القضاء على اخر كرواتى في يوغوسلافيا . وسألت الرئيس الكرواتى، فتمكّن التخلص من اخر صربى في يوغوسلافيا . ولما جاوى الدور على الرئيس البوسنى قال لها: «اذا تمكنت من تحقيق تلك الامنيتين لن احتاج سوى قهوة».

هذه الطرفة الشائعة تعكس صعوبة وحساسية موقف جمهورية البوسنة والهرسك المساوم على مواجهة جمهورية صربيا الارثوذكسية، وكرواتيا الكاثوليكية . فقد بقي المسلمون زمنا طويلا

محشورين بين الواقع السياسي والجغرافى للغريمين التقليديين صربيا وكرواتيا وتشهد البوسنة حاليا فترة حرجية في تاريخها الحديث تتفق بها على اعتبار الاعتراف الدولي بالاستقلال.

اجواء يناير ١٩٩٢ ابرزت على نحو واضح ان المجموعة الاوروبية تتناول مسألة الاعتراف باستقلال البوسنة والهرسك بالكثير من الشك والقليل من الثقة وفيما يلاحظ اندفاعا من اطراف غربية عديدة للاعتراف بالجمهوريات اليوغوسلافية المستقلة، خاصة كرواتيا وسلوفينيا. تأخذ القضية بعدا مختلفا في حال التعامل مع البوسنة والهرسك. ويظل القاسم المشترك وراء الشك الغربي وهو مخاوف قيام جمهورية اسلامية بوسنوية.

يسوق الغربيون تبريرات تعطى هذا القلق وجاهته واهمها تلك التركيبة الطائفية والعرقية للجمهورية التي تضم ٥٠٪ من ابناء المسلمين الذين اختلطوا بالفاتحين العثمانيين. ● ولا يتمتع المسلمون في ظل هذا الوضع بأغلبية مطلقة تعطى قرارهم اولوية آلية. التبرير الثاني هو الموقف الجغرافي للبوسنة وأهمية اوروبية، فضلا عن الواقع التاريخي الذي افرز السبب المعلن للحرب العالمية الاولى عندما تم اغتيال الامير النمساوي فرديناند وزوجته ايزابيلا في العاصمة سراييفو.

الشاعر البوسني لديه قناعته المختلفة التي تحفظ بمسافة كبيرة تفصله عن المعلن الغربي. هذه القناعة تلتقي في الوقت نفسه مع ما يتردد بالفعل في الدوائر الغربية الحاكمة فيزور نجم التوجه الاسلامي بشكل واضح وصريح وتعبير ابناء الجمهورية عن رغبتهم في اعطاء الاسلام مساحة اوسع في واقعهم يلقيان الضوء الاحمر من العواصم الغربية الساعية الى تأسيس نظام اوروبي جديد له ملامحه العقائدية غير القابلة للاغفال. الرئيس البوسني على عزت بيروفيتى يؤكد من جهته ان الجمهورية الباحثة عن الاعتراف الاوروبي - على وجه التحديد - تعتبر جمهورية المسلمين وليس جمهورية اسلامية، كما انها جمهورية مواطنين وليس اعراقا وطوائف ويدرك الرجل الخارج من غياب السجون الخصوصية الشديدة لواقع بلاده والعيون الكثيرة المحملة والمتابعة لكل سنتيمتر مربع في البوسنة والهرسك.

رجل الشارع.. المواطن المسلم الذى يشكل باجماليه البالغ مليوني نسمة نصف سكان الجمهورية لاتغادر مخيلته ايام مجيدة في تاريخ البوسنة والهرسك صنعوا التواجد العثماني وتدرك انقرة مدى التنفيذ والتاثير المعنوى لها في البوسنة والهرسك، كما في بلغاريا حيث الاقلية التركية الضخمة، وكما في اغلب الجمهوريات المسلمة وسط اسيا او جنوب الاتحاد السوفييتي سابق، انقرة المتلفحة بالعباءة العلمانية تتمتع برصيد هائل وموفور داخل خزانة التاريخ العثماني الاسلامي. لذلك انطلق منها تصريح ذو طابع دعائى مخض جاء فيه ان تركيا ستقوم بتحطيم بلجراد مقابل تحطيم اى شارع في سراييفو. العاطفة الاسلامية تضرب بجذور عميقه في التربة البوسنية. تقول الاشعار الشعبية:

● الاحصائيات الرسمية المعلنة تظهر ان نسبة المسلمين ٤٣٪ فقط والصربي ٣١٪ والكروات ١٧٪
واجمالي عدد السكان ٤٠ مليون نسمة.

شاهد على مأساة البوسنة

البوسنة ارض الدماء
 سأحافظ عليك كعینی
 أنا ابنك
 هناك حيث نهر اونا
 هناك حيث نهر الدرينا
 والسماء الزرقاء
 هناك حيث نهر المرينا
 تنام الشمس
 هناك حيث ينابيع الساوا
 اذا جاء الاعداء
 سينتظرونهم الشهيد المضرج في دمائهم
 سيهب من قبره
 ليقاومهم من جديد
 المساجد ومتار الشهداء.

مقابر الشهداء او «متار شهيد» كما يطلق عليه البوسنيون نجوم تتناثرا في باطن ارض الجمهورية فهى تخضم الشهداء العثمانيين والبوسنيين الذين خاضوا معارك اسلامية الى جانب العثمانيين بعد ان اهتدوا للإسلام وتعد منظرا شائعا في المدينة تتواجد عادة في الحدائق المجاورة للجوامع. وهم يطلقون في البوسنة تسمية الجامع الا في حالة وجود مئذنة، والا اطلق عليه تسمية المسجد. في سراييفو وحدها ٨٠ مسجدا وكان عددها في السابق ١٥٠ مسجدا لكن تسامي الشيوخين وزراحتهم ذهبت بسبعين مسجدا. في كامل احياء الجمهورية يوجد ٢٠٠ جامع غير المساجد المنتشرة باللدن والقرى بالسهول والجبال في الثلج وتحت الشمس. يضاف الى ذلك المدارس القرآنية التي تقدر بالمئات. من مآسى اهل الحكم الشيعي في البوسنة والهرسك انهم حولوا بعض مقابر الشهداء الى دورات للمياه. بعد الانتخابات الحرة التي جرت عام ١٩٩٠ وجاءت بحزب العمل الديمقراطي للحكم نسفت هذه الدورات وبقيت مقابر الشهداء تعانق اشعة الشمس صيفا وترقد تحت الثلج في بيوت طويل يصنعه شتاء قارس وتعانقها عيون المستضعفين المسلمين من بين صفحات التاريخ الناصع البياض. لم يكن غريبا على الشيوخين تحويل «متارات شهداء» الى مراحيل، ولم يكن غريبا ان يسرقوا المقتنيات والتحف الثمينة من مقر رئاسة الجمهورية قبل ان يغادروا على استئنافات الناخبيين التي جاءت بعل عزت بيچوفيتش، رئيسا لأحدى اجمل وابهى الدول الأوروبية.

صورة ناصعة

في عيون أبناء الجمهورية.. توجد صورة ناصعة عنا نحن العرب. وجود انسان عربي وسطهم يعني وجود احد احفاد الصحابة رضوان الله عليهم.. وجود سلالة علمت الدنيا ونشرت النور في ربوعها . عربي في البوسنة يعني ذكريات صدر الاسلام العطرة، الایمان الحقيقي.. الاخوة.. الشهادة.. فلسطين.. وايضا البوسنة ذاتها صدموا ويصدمون فينا كثيرا

صدقناهم في فلسطين وتصدمهم كل يوم تحت وقع انسحاب الاسلام من حياتنا.. تحت وقع الفرقة والباس مع الاهل في الداخل واللطف والتسامح مع الخارج. على المستوى الفردي الاجتماعي يتقدم عرب للزواج من بوسنويات. مشروع جيد بتحفظ وحيد، ان يبقى العربي في الوطن البوسني مع زوجته المسلمة ولا يغادرها لماذا؟ لأن البوسنيون يعتبرون خروج ابنتهم امرا مستحيلا بل وتجيء الاجابة ناصعة كعيون الشمس من افواه البوسنيات: «لو هجرنا الوطن كيف تستمر وتبقى الذرية المسلمة؟!»

مليكة صالح زوجة علي عزت بيجوفيتش رمز لنساء الجمهورية محجبة دخلت السجن مرتبة كما زوجها بعد خروجهما من السجن المرة الاولى اتجهت من فورها لأحد ميادين سراييفو وتظاهرت. كان ذلك عام ١٩٨١ حملت لافتة كتب عليها «سنحكم بلادنا بالشريعة الاسلامية». ذهببت للتظاهر في ساعات معدودة وعادت كذلك للسجن مرة ثانية في ساعات معدودة وقضت سنوات من عمرها داخل الزنازين وخرجت محمولة على يد ابنتها. فقد فقدت ٢٥ كيلوجراما من وزنها قبل ان تنفي الى لندن. شارك الان من داخل الوطن في توعية النساء بوسائل الدعاية العديدة. البوسنة والهرسك تشهد هجرة للعمال الى الجمهوريات «اليوغسلافية» الاخرى او دول اجنبية بحثا عن مصدر محترم للدخل الذي لا يتجاوز متوسطه الشهري ٢٨٠٠ دينار اي نحو ٤ دولارات. اما الاسعار فزادت بنسبة ٢٠٠٪ اي انها تضاعفت عشرین مرة ويراهن ابناءها على دفع عجلة التنمية لديهم امال ومشاريع كبيرة لتحقيق قفزات اقتصادية باستغلال موقعهم الجغرافي وخبراتهم المتقدمة في مجالات مختلفة. من بينها الانشاء والتعدين . والسياحة في الجمهورية العائد الى صفحات التاريخ مصدر مهم من مصادر الدخل . فقد ترك



*سيفيليت هورفيتش

العثمانيون وراءهم آثار آية في الروعة والجمال خاصة في مدينة سراييفو القديمة التي يشكل المسلمون نحو ٩٩٪ من سكانها وتحرسهم خمس بوابات عثمانية وبعد السوق القديم الشريان الاقتصادي. وهو بأكمله اثر عثماني باق سياحيا واقتصاديا حتى اليوم فضلا عن المقاهي والحمامات والخلوات. ●

سيفيليت هورفيتش نموذج للشاب المسلم البوسني يدرس الطب البيطري ويعمل صحفيا تحت التمرير في جريدة «صوت المسلم» الشهرية، لديه قناعة ان المسلمين عانوا من الاضطهاد على يد الصرب وأن لهم أن يتسيدوا قرارهم ويشقوا طريقهم

● تعرضت لدمار شديد على يد العدوان الصربى لاحقا.

شاهد على مأساة البوسنة

ويشبو عن الطوق اليوغوسلافي.



* Maher Tsinjko

Maher Tsinjko السكرتير التقني لحزب العمل الديمقراطي صاحب الأغلبية في التشكيل الوزاري صورة أخرى للشاب المسلم المفعم بالحيوية والأمل والمتوج بالادب الجم الذي يفissen حياء. يتكلم الانجليزية التي يندر من يتكلماها في الجمهورية واللغة الالمانية كشأن اغلب الجمهوريات اليوغوسلافية الاكثر شيوعا في البوسنة والهرسك حيث يتكلماها عشرات الالاف من العاملين في المانيا سواء منهم من استمر هناك او عاد الى الوطن. سيفليت وماهر يعكسان توجهين في سراييفو باعطاء فرصة

للشباب للصعود والمشاركة في صنع القرار واعطائه فرصة التجربة واكتساب الخبرات الازمة لا يغيب عن وعي القيادة السياسية حقيقة تواجد الصرب والکروات في الجمهورية بما يمثل نصف السكان. وتظل المعادلة صعبة سيدة الموقف بحيث يمكن الحفاظ على الهوية المسلمة وضمان حقوق الاقليات بالشكل الذى لا يستفز الغرب، والحقيقة الحالى حقبة خروج من تحت حكم شمولى ساد لاكثر من اربعين عاما نجع في اضفاء انقسامات حقيقية في البنية السياسية والاجتماعية ليوغوسلافيا ويعتبر الرئيس على عزت بيجوفيتش ان الحرية بجميع مساواتها هي الخيار الوحيد للبوسنة والهرسك. لكنه ينفي دينكتاتورية سادات ويرى ان «يوغوسلافيا الثالثة» على حد تعبيره ستري «تأثيرا اسلاميا قويا» وينذر في اول مقابلة صحافية تمت بعد خروجه من السجن للمرة الثانية عام ١٩٨٩ ونشرتها صحيفة دلو في لوبليان «بانه.. سيكون للشعب المسلم دور هام في تحقيق توازن جديد في البلاد واكد ان «الزمن سيؤكد صحة ما قلت» وقتها منذ اكثر من ثلاثة اعوام لم ترغب اي من الصحف في نشر اللقاء فيما عدا الصحيفة الكرواتية المذكورة. اضاف قائلا في هذه الجولة السريعة ان هناك محاولات تتميز بالاصرار على تحديد العنصر الاسلامي بشكل ما. غير ان الشعب المسلم «يعلم جيدا مايرفضه اكثر من علمه بما يريد» الصرب والکروات لديهما برنامجان احدهما ديمقراطي والاخر لدوله كبرى على حساب البوسنة والهرسك، دولة لا تخلي من الفاشية اما المسلمين «فليس امامهم خيار سوى الديمقراطية»

اشاعات واقاويل

اشاعات واقاويل حول خلاف بين رئاسة المسلمين في عموم يوغوسلافيا وبين القيادة السياسية للMuslimin في البوسنة والهرسك المثلثة في حزب «العمل الديمقراطي» و«منظمة مسلمي البوسنة» تستند الاشاعات الى عدم وجود برنامج لدى الحزبين يتضمن استراتيجية لصالح المسلمين في كل الجمهوريات اليوغوسلافية. ويرى عزت بأن قوة المسلمين في البوسنة والهرسك بمثابة قوة لكل المسلمين في الجمهوريات الأخرى. يعتبر الواقع الاسلامي البوسني «ضمانة لصالح المسلمين خارج البوسنة والهرسك». يتضمن برنامج حزب العمل الديمقراطي هذا الاتجاه وهو برنامج يلقى تأييدا من اغلبية الشعب المسلم في جمهوريات يوغوسلافيا. يؤمن على عزت بيجوفيتش كثيرا في صيغة اتحادية بديلة.. ويقول «تفكك يوغوسلافيا الى ست دويلات ليس حلا بالتأكيد خاصة

بالنسبة للبوسنة والهرسك متعددة القوميات وذات الموقع الجغرافي الحساس ونحن نقبل الحل الذي يوافق عليه الصرب والكروات معاً ويضمن سيادة البوسنة والهرسك» ● ويدين الرئيسين الصربى والكرواتى ميلوسوفيتش وترجمان فى وقت واحد بقوله «الموقف الراهن السخيف هو نتيجة سياسة التطرف القومى للرئيسين الصربى والكرواتى انتقاده أيضاً ينصب على تحويل صربيا وكرواتيا إلى جمهوريتين عرقيتين مؤكداً على ضرورةبقاء البوسنة والهرسك جمهورية للمواطنين المنتمين لاعراق مختلف». عن الديمقراطي يشير بقوله «اذا كانت هناك ديمقراطية في يوغسلافيا فهي في البوسنة والهرسك، حيث لا توجد رقابة على الصحف او الاذاعة او التلفزيون ولم نعاقب الحكام السابقين. ولم تنصب المحاكم ولا يوجد عندنا سجناء سياسيون ولدينا مشاركة في السلطة، والمناصب السياسية العليا موزعة بين المسلمين والصرب والكروات».

رئيس «الحزب الديمقراطي الصربى» في البوسنة والهرسك اتخذ من كتاب الاعلان او البيان الاسلامي الذى كتبه على عزت في بداية السبعينات دليلاً على رغبة الاخير وحزبه «العمل الديمقراطي» في اقامة دولة اسلامية في البوسنة والهرسك. الرئيس البوسني يريد بقوله ان كاراجيتش لم يقرأ البيان على ما يبدي. انه يعبر عن رأي في العالم الاسلامي اليوم. كاراجيتش يسعى لاستقطاب الصرب وتكتيف النزعه القومية بأثره مخاوفهم عبر اتهامات لا تستند للواقع. في كل الاحوال استطاع الاخرون بمهارة فائقة توظيف قضية الدولة الاسلامية لابتزاز امامى مسلمى البوسنة والهرسك، ومحصارها بعيداً عن امكانية التحقيق. لكن الواقع يشهد ايضاً بحكمة دبلوماسية وتجربة تاريخية يتحلى بها القادة المسلمين في مواجهة الهجوم الصاعد في سماء البوسنة والهرسك وكذلك العالم الثالث.

مستشار الرئيس

الاطلاع على المواقف الثلاثة مواقف صربيا وكرواتيا ومعهما البوسنة والهرسك، امر لا مفر منه امام اي مراقب يحاول البحث عن تفاصيل الازمة والرؤى الشاملة التي تحيط بها. من هنا تمثل آراء القيادة في الجمهوريات الثلاث اهمية خاصة لفهم الازمة بطريقة اعمق تفسر التفاوت الشديد في مواقف الاطراف المعنية. لم يكن الامر سهلاً للحصول على موعد لاجراء المقابلات خاصة في بلجراد. تملكتني احساسات بأن الصرب الذين يعيشون اعياد ميلاد مثخنة بالجرح ومعاناة الحرب، لا يرغبون كثيلياً التعامل مع الاعلام الاجنبى. لم يكن هناك سوى تفسير واحد يبرره ضعف موقفهم وشعورهم بالعزلة الدولية دبلوماسياً واعلامياً مما دفعهم الى حالة من الانكفاء على الذات كشكل من اشكال الرد على العالم الخارجي. ظللت حتى الساعات الاخيرة من زيارة يناير ١٩٩٢ في حيرة من امري. لم اتلق رداً ايجابياً على طلبي بمقابلة الرئيس سلوبودان ميلوسوفيتش، ولم يكن امامي سوى ممارسة ضغط معنوي. اتصلت بهم واخبرتهم انى اجريت مقابلتين مع رئيس البوسنة والهرسك وكرواتيا، فتحركوا على عجل وحددوا لي موعداً مع

● كان ذلك قبل العدوان الصربى على البوسنة والهرسك

شاهد على مأساة البوسنة

تستليكو سيميتش مستشار الرئيس الصربي. وهكذا انصرت جهودي باستكمال الحلقة الثالثة للقاءات الرئاسية.

سيميتش البالغ من العمر ٢١ عاما، حاصل على ماجستير في الفلسفة وعلم الاجتماع. له ثلاثة كتب، الاول «الثقافة والايديولوجية» الثاني «تحديات الصدامات» والثالث ادبى تحت الطبع. يمثل جيل شباب الدبلوماسيين الصرب. يتكلم الانجليزية والفرنسية، ويرأس تحرير مجلة «ريفيو». التقى به بعد ان اتممت مقابلتي لرئيس البوسنة والهرسك وكرواتيا الذي اثر - هنا - ان اقدمه عليهما نظرا لان جمهورية صربيا تمثل مفتاح الازمة الساعي الى هدم قواعد البيت الجديد القائم على انفلاخ الاتحاد اليوغسلافي. سألته عن تقديره لمرحلة ما بعد الخامس عشر من يناير من عام ١٩٩٢ موعد اعتراف المجموعة الاوروبية بالجمهورية المستقلة عن بلغراد، فاجابني بقوله: «يصعب علي تحديد اي تصور مستقبل ليوغسلافيا لان هناك عوامل وعناصر كثيرة في الازمة تتغير من يوم لاخر مما يصعب معه استنتاج رؤية محددة وثابتة، اعتقد اننا نعيش اياما عصيبة جدا نحتاج معها الى مساعدة دولية للتغلب على الازمة التي بدأت منذ شهر طولية والتي يجب وضع حد لها. يدرك صانعو القرار ان الازمة اليوغسلافية ليست محلية بقدر ما هي ازمة اوروبية، ويرى الجميع ان الحرب الاهلية في يوغسلافيا - اذا جاز تعبير الحرب الاهلية - تشكل خطورة حقيقة لاروبا».

واذا اردنا توضيح الامر اكثر من ذلك نقول ان الموقف في يوغسلافيا و موقف بعض الدول من الازمة سيقود الى تفجير اوروبا من الداخل، فنحن هنا في يوغسلافيا نعتبر اوروبا مصفرة، الكثير من الدول الاوروبية لديها مشاكل اقليات مثل الايرلنديين في بريطانيا والباسك في اسبانيا والكورسيكيين في فرنسا.

● قد يفسر ذلك عدم اعتراف الدول الثلاث حتى الآن باستقلال الجمهوريات الامريكية داخل يوغسلافيا؟

● ليس فقط لحماية الوضع الداخلي في هذه الدول، ولكن ايضا لحماية النظام والقانون الدولي، الاسرة الاوروبية معنية جدا بالقانون الدولي استنادا الى اتفاقية هلسنكي ومعاهدة باريس.. في رأيي الاعتبار الامثل داخل الاسرة الاوروبية هو احترام المواثيق الدولية المعنية بالواقع الاوروبي، ونحن في يوغسلافيا نعتبر الخروج على وثيقتي هلسنكي وباريس من قبل بعض الدول الاوروبية مثل المانيا انتهاكا للقانون الدولي.

● وحق كرواتيا في الاستقلال

● ● لم نكن يوما في جمهورية صربيا ضد استقلال كرواتيا، لذلك اطرح سؤالا مهما: لماذا لم تحدث مواجهة عسكرية حقيقة بين صربيا وسلوفينيا بعد اعلانها الاستقلال؟ اندلاع القتال بين الصرب والكردات يرجع لوقف القيادة السياسية الكرواتية. لذلك اعلن الرئيس الصربي في عدة مناسبات اتنا نوافق على احترام اراده الشعبين السلوفيني والكرداتي في حق تقرير المصير وحتى الانفصال. لكننا واتساقا مع نفس الاتجاه الثابت لدى القيادة الصربية نقول ايضا لماذا لا يتمتع السكان الصرب الذين يعيشون داخل الحدود الجغرافية لكرداتيا وداخل الحدود السياسية لجمهورية يوغسلافيا التي تتمتع بالشرعية الدولية.. لماذا لا يتمتع هؤلاء الصرب بحق تقرير المصير

واحترام رغبهم في البقاء داخل يوغسلافيا. هؤلاء مواطنون لديهم نفس حقوق الكروات، بل ان حقوقهم ذات افضلية باعتبار انهم يفضلون البقاء.

● وهذا ما يحدث بالفعل من قبل الصرب في كرواتيا؟

● نعم. فليس امام الصرب خيار آخر غير يوغسلافيا كدولة يعيشون في كنفها، الالبان - اليوغسلاف - على سبيل المثال - لديهم خيار آخر هو دولة الابانيا التي يتضمنون اليها عرقيا. الصرب الذين يعيشون داخل كرواتيا - من جهة اخرى - لا يمكن ان يتاحوا الى اقلية، كما ان الكروات الذين يعيشون في صربيا لا يمكن ان يتاحوا الى اقلية، فكلامهما سواء هنا او هناك يعيش داخل وطن اسمه يوغسلافيا. للاسف نتج عن الازمة لجوء ماتي الف صربي من كرواتيا الى صربيا.

● هل يستوي لديك موقف جمهوريتي البوسنة والهرسك وكرواتيا؟

● ان ثلث سكان البوسنة والهرسك من الصرب. وهناك فارق بين موقف الحكومة وموقف الشعب، وحدود الجمهوريات ترجع للشعب نفسها وليس لبعض افراد، اثناء حكم تيتو بصلحياته المطلقة تبدت مظاهر كرمه وسماحته. انكسرت هواية حب الرسم عنده على صربيااليوم فورثت خريطة يوغسلافيا الحديثة التي رسم حدودها الداخلية الرئيس السابق، كانت افضل رسوماته. على الشعب ان تقرر وسط هذه الازمة مصير الحدود، وليس الحكومات.

● هل يعني ذلك انكم تتضمنون الموقف البوسني والكرواتي في سلة واحدة؟

● هناك علاقات قوية جدا بين الكروات والزعماء المسلمين في البوسنة والهرسك بخصوص بعض المشاكل، لقد انتهك الاثنان الدستور اليوغسلافي، الرئيس البوسني، علي عزت بييجوفيتش انتهك الدستور باعلن البوسنة والهرسك جمهورية مستقلة، رغم ان السكان الصرب يرفضون الانفصال.

● هناك مادة في الدستور تعطي لاي جمهورية حق الاستقلال؟

● بالطبع.. هناك مادة تعطي الجمهوريات حق تقرير المصير والانفصال.

● المادة اشترطت الحوار؟

● الحوار والتوصيل الى حل من خلال قواعد قانونية محددة، ورفض اللجوء الى القوة لتحقيق الانفصال.

● الكروات يرفضون بشكل قاطع الصيغة الفيدرالية والكونفدرالية، بينما البوسنة والهرسك تؤيد الكونفدرالية؟

● هناك فارق بين الجمهوريتين.

● هل تقبلون بالكونفدرالية بدليلا عن صيغة الفيدرالية التي اندلعت في ظلها الازمة؟

● علينا البحث اولا عن الظروف والشروط التي تمهد لبحث مستقبل يوغسلافيا، كرواتيا ترفض الصيغة اليوغسلافية. وقعت ١٤ اتفاقا لوقف اطلاق النار ولم تحترمها.

● لماذا؟..

● تزيد حالة الحرب والابقاء عليها من اجل الاسراع بالاعتراف بها من قبل العالم.

- يقولون في كرواتيا ان انتهاك وقف اطلاق النار يأتي من الجانب الصربي؟
- ليس لديهم اي دليل يثبت ذلك الادعاء. بالعكس يهاجمون الجيش اليوغسلافي عن طريق قطع امدادات الكهرباء والماء عنه، حطموا حتى الان سبعة جسور تربط الجانبين ببعضهما.
- انتم متهمون في بلجراد باستغلال الاقلية الصربية في كرواتيا لاشعال الحرب هناك؟
- اخبرك بوضوح، انهم يسعون لاعادة حلمهم التاريخي القديم الرامي الى تأسيس دولة كرواتيا. من جانبنا ليس لدينا نفس الحلم لأن هناك دولة قائمة اسمها يوغسلافيا.
- وما يتعدد عن احتمالات قيام علاقات مميزة بين كرواتيا من جانب والمنسما والمانيا - على نحو خاص - من جهة اخرى؟
- هذه الاحتمالات تترجم الى واقع الآن. من يدعم كرواتيا عسكرياً ومالياً؟ انها المانيا، وزير الدفاع الامريكي ديك تشيشني ذهب الى بودابست منذ حوالي شهر، نعتقد انه حذر المجريين من انتهاك المجال الجوي اليوغسلافي، الطائرات المجرية - بالفعل - قامت بطلعات في أجواءنا، اطلقت المدفعية النارية من الاراضي المجرية على السكان الصرب، نحن لا نحاول استغلال الصرب في كرواتيا. الصرب هناك مواطنون كغيرهم مزارعون يعيشون في امان يحاولون الدفاع عن انفسهم ضد الميليشيات «الارهابية» الكرواتية، من المهم التأكيد على ان الجيش الذي يخوض معارك ضد كرواتيا هو الجيش اليوغسلافي وليس الصربي، ومن غير المقبول ان يتعرض اي جيش داخل بلده للعدوان ويقف غير مبال، غير مقبول قيام جيشين في بلد واحد، غير مقبول قيام الميليشيات الكرواتية بالتنكيل بالصرب في كرواتيا، في كرواتيا - الان - حزب سياسي مسلح بالكامل وهو ما لم يحدث في اوروبا منذ حوالي ستين عاماً، منذ وقت المانيا النازية.
- ماذا تنتظرون من العرب؟
- ننتظر ونأمل ان يكونوا موضوعين في تناولهم للازمة اليوغسلافية ورؤيتها بشكل واسع وشامل استناداً الى خلقياتها وجنورها، نحن نتطلع الى هذا الموقف من الدول العربية التي تشاركتنا حركة عدم الانحياز.
- لدى رغبة حقيقة في زيارة يوغسلافيا ربما العام القادم، هل تعتقدون في بلجراد ان يوغسلافيا ستظل قائمة عام ١٩٩٣؟
- لا ادعى التنبئ، لكن اقول انك لن تجد نفس يوغسلافيا التي اعتادها العالم، يصعب على جداً ان اقول ذلك، سنبدل كل جهودنا لنحمي الشعب الصربي، ولن نسمح بالاعتداء على الصرب في اي مكان.
- كثُر الحديث عن اهداف المانيا في بحر الادرياتيك الذي يعد منفذًا بحريًا هاماً لبون؟
- بحر الادرياتيك ممر بحري استراتيجي ويعد هدفًا للسياسة الالمانية للخروج عبر الحدود الى المياه الدافئة والتفوق على الجيران في الامبراطورية، انشأ مقاتلون على فترة او عصر مليء بالمشاكل بسبب نزع المانيا الى قيادة اوروبا.
- وفرنسا

● من جانبها يجب ان تجعل ذلك امرا مستحيلا على المانيا، اذا لم يتم احترام وثيقتي هلسنكي وبارييس بمواجهة الازمة اليوغسلافية، فلن تكون بحاجة اليهما فيما بعد. اوروبا لم تنس بعد الاعتداء على القانون من قبل المانيا والنمسا وال مجر، هذه خبرة تاريخية يجب ان تبقى في الذاكرة عبر ممارسة الامبراطورية النمساوية - المجرية، وكذلك موقف الكروات منها.



بيجوفيتش.. رمز

يتحول الرئيس علي عزت بيجوفيتش مع مرور الوقت - الى رمز يلتقي حوله شعب البوسنة والهرسك المسلم. تاريخ حافل يستند لاسس اخلاقية ثابتة جعلت منه معارض للحكم الشيوعي وهو في قمة السلطة. من المفارقات الغريبة ان نفس الاسس الاخلاقية حالت بينه وبين افعال معارك وهمية مع تيتو بعد رحيله، بينما دأب كل من القطبين الشيوعيين الصربي ميلوسيفيتش والكرواتي توجمان على مهاجمة الرئيس اليوغسلافي فقط بعد وفاته متناسين انهم كانوا من قيادات الحكم الشيوعي؟

ولد رئيس البوسنة والهرسك علي عزت بيجوفيتش عام ١٩٢٥. تخرج من المدرسة العليا بسراييفو. درس علم تحسين التربة في جامعة سراييفو. حصل على ليسانس الحقوق من نفس الجامعة. متزوج واب لثلاثة ابناء. قضى ثمانية اعوام من عمره في السجن، المرة الاولى كانت بين عامي ٤٦ و٤٩. الثانية بين عامي ٨٣ و٩٨٩ بسبب تأليفه كتاب «الإعلان الاسلامي» الصادر عام ١٩٧٠. اي انه عوقب باشر رجعي بعد ثلاثة عشر عاما من ارتكاب الجريمة، اذا كان تأليف هذا الكتاب يعد بحق جريمة!! له مؤلفات اخرى هي «الاسلام بين الشرق والغرب» الذي ترجم الى الانجليزية والتركية والماليزية والهندية، وكتاب «مشاكل الاسلام العائد» و«وسائل في السجن» تحت الطبع. اسس الحزب الاسلامي عام ١٩٨٩ وطلق عليه «حزب العمل الديمقراطي» لتغادي العقبات القانونية التي قد تمنع تأسisسه بسبب تسمية «الاسلامي».

داخل مكتبه المتواضع وبحضور ابنته التي تولت مهمة الترجمة الى الانجليزية. اسئلته عن ردود العرب بخصوص طلب الاعتراف بعد اعلان الاستقلال، فيقول «لم نتلقي اية اجابات من الدول العربية. فنحن تقدمنا للمجموعة الاوروبية بداية، لأن قرار خروجنا الى عالم الاعتراف الدولي بيد غرب اوروبا قبل اية جهة اخرى.

● هل تقييم ردودا ايجابية من الدول العربية بخصوص طلب الاعتراف؟

- لم نتلقي اية اجابات من الدول العربية، فنحن تقدمنا للمجموعة الاوروبية مبدئيا، لأن قرار خروجنا الى عالم الاعتراف الدولي بيد غرب اوروبا قبل اية جهة اخرى.

● وواشنطن؟

● لديها ورقة اخرى، اي وصول قوات الطوارئ التابعة للامم المتحدة، اجرينا اتصالات بهذا

شاهد على مأساة البوسنة

الشأن مع مبعوث الامم المتحدة سايروس فانس. من الواضح ان الامم المتحدة تقوم بجهدها من اجل تحقيق وتكريس ايقاف اطلاق النار وارسال قوات الطوارئ. هناك - اذن - اولويتان مختلفتان، الاولى اوروبية متعلقة بالاعتراف، والثانية امريكية دولية متعلقة بقوات الطوارئ او حفظ السلام.

● ماذا عن الدور العربي؟

● ● اذا تمكننا من حل الازمة التي تعيشها جمهوريتنا وخرجنا منها بسلام، فانا متفائل بمستقبلنا هنا في البوسنة والهرسك، في هذا التوقيت سيقوم العالم العربي بدوره نحونا.. الدور الذي نامله ونتمناه من اشقائنا.

● هذا الدور غير مطروح حاليا؟

● ● في الوقت الحالي علينا ان نرتقي قضية السلام مع اوروبا والولايات المتحدة. اما مستقبلنا عامه والاقتصادي منه خاصة، فنحن نود ان يكون مع العالم العربي، اعتقد ان هذا هو الموقف انطلاقا من الواقع الملمس. نحتاج في كل الاحوال الى تأييد الدول العربية في الامم المتحدة وفي مجلس الامن.

● الى اي مدى يتشارب موقف البوسنة والهرسك في فترة الحرب العالمية الثانية، واليوم مع اندلاع الازمة في كرواتيا؟

● ● هناك بعض علامات الشبه بين البوسنة والهرسك امس واليوم، اي اثناء الحرب العالمية الثانية وخلال الصراع الدائر حاليا قبل كل شيء يجب التأكيد على فارق جوهري، ففي الحرب العالمية لم تكن هناك دولة البوسنة عكس اليوم، حيث الدولة قائمة وموجودة. دولة اليوم دولة مسلمة وهو ما يحدث لاول مرة في تاريخها، حقيقة كانت قائمة بعد الحرب العالمية الثانية - دولة مسلمة - غير انها لم تكن كذلك في حقيقة الامر تحت حكم الشيوعيين. تحولنا فعلا وواقعا الى دولة مسلمة بمعنى انها دولة للمسلمين وليس دولة اسلامية.. دولة يعيش فيها السكان المسلمين الذين يتمتعون بحربيتهم، الاسلام عندنا دين وكذلك قومية نحافظ عليها بمواجهة محاولات الاذابة والصهر في اية هوية مخالفة.

● منفذكم الوحيد على بحر الادرياتيك لا يمتد لاكثر من ٢٠ كيلومترا..
● ● ٢٦ كيلومترا.

● يظل ايضا غير كاف كميناء مما يؤثر على وضعكم الاقتصادي مستقبلا؟

● ● لا يوجد احد في بقية جمهوريات يوغسلافيا يتمتع بموقف افضل باستثناء كرواتيا التي تتمتع بسواحل طويلة على بحر الادرياتيك، يجب الاعتراف بان ضالة المسافة التي نظر عليها عبر الادرياتيك تعد عاماً معمقاً، لكن هناك دولاً عديدة ليس لديها امكانات احسن منها، المانيا لديها ميناء واحد هو هامبورج، بولندا نفس الوضع لديها ميناء جدانسك فقط، نحن لدينا ميناء في هذه المساحة الصغيرة لا يزال تحت الانشاء ويمكن توسيعه في مراحل تالية، من حسن الحظ ان موقع ميناء جمهورية البوسنة والهرسك يعد الافضل على ساحل البحر الادرياتيكي. الميناء صغير الحجم يمكنه استقبال السفن الصغيرة وتوسيعه مستقبلاً مع اعتماد استثمارات جديدة له ويزيد

- من أهميته موقعه الجغرافي الذي يعد الاهم على ساحل الادرياتيك.
- الخبرة التاريخية للبوسنة والهرسك تشير الى امكانية الحفاظ على علاقات طيبة مع الشرق والغرب في آن واحد؟
 - تاريخيا لدينا دائما علاقات مع الشرق والغرب. الموقع الجغرافي للبوسنة جعل منها معبرا بين الاثنين وحلقة وصل عبر التاريخ، البوسنة والهرسك جمهورية متعددة القوميات والاديان والثقافات.
 - ديانات متعددة. ام دين اغلبية واديان اقليات؟
 - في البوسنة ثلاثة ديانات: الاسلام والكاثوليكية والارثوذكسية، تتمتع ثلاثتها بموقف قانوني متساو، المسلمين يشكلون اغلبية، وهذه الاغلبية غير متسطلة.
 - ما انعكاسات ذلك على الواقع السياسي؟
 - تقسيم السلطة بين القوميات الثلاث، رئيس الجمهورية مسلم، رئيس البرلمان صربي ارثوذكسي، رئيس الوزراء كرواتي كاثوليكي.
 - البوسنة نموذج للتعابير مطروح على الصعيد اليوغسلافي الداخلي؟
 - ● البوسنة «يوغسلافانيا» مصغرة.
 - نموذج مؤسس على الفكر الذي ارساه الرئيس السابق تيت؟
 - لا.. لا، لا علاقة لتتيتو بذلك، نحن لستنا على يقين من احتمالات بقاء يوغسلافيا كدولة، بالنسبة للبوسنة نعمل على اساس ايجاد شكل من الاتحاد لا علاقة له بالنمط «اليوغسلافي» على طريقة تيت، اتحاد يشمل الشعوب التي تعيش في الجغرافيا اليوغسلافية - اتحاد يجمع شعوباً ودول مستقلة.
 - شكل من اشكال الكونفدرالية؟
 - ● نعم كونفدرالية، الصيغة الفيدرالية لا تصلح الان خاصة بعد تفاعل الازمة واسقاط احتمالاتها نهائيا في كرواتيا وسلوفينيا، نسعى لايجاد علاقة بين دول مستقلة.
 - تشابه الاتحاد السوفييتي سابقاً واسرة الامم حاليا؟
 - ● نعم.
 - تاريخ مسلمي البوسنة والهرسك حافل بالمعاناة والألام، هل ترون نهاية قريبة لذلك التاريخ؟
 - اتمنى ان نشهد نهاية لهذه الآلام خلال النصف الاول من العام الحالي. نهاية تعني السلام وايقاف الحرب الدائرة بين الصرب والكردات. اما الحل السياسي او القرار السياسي فسيأخذ وقتاً اطول من الستة شهور القادمة.
 - وما يقال عن وضع قنابل في بعض المساجد في صربيا وكرواتيا؟
 - ● هناك مبالغات واعتقد ان شائعات كثيرة تنتشر بهذا الصدد، لكن اذا اجبرنا على القتال او دفعنا اليه دفعا، سنجد انفسنا مضطرين لحمل السلاح.

شاهد على مأساة البوسنة

● والوضع العسكري في البوسنة والهرسك؟

● ● تشهد البوسنة - حاليا - اكبر تجمع عسكري في اوروبا.. فقد تجمعت اكثر القوات الصربية فوق اراضينا بعد الانسحاب الذي تم من اراضي كرواتيا.. العدد ضخم ليس لدينا رقم دقيق عنه سوى انه يتراوح بين ٥٠ و ٦٠ الف فرد باسلحتهم وعتادهم.. وهم مجهزون بشكل جيد جدا فضلا عن وجود السلاح الجوي الصربي الى جانب القوات البرية.. اما قواتنا فتمثل في الشرطة المحلية من الجنود النظاميين البالغ عددهم ١٠ آلاف فرد واحتياطي يبلغ حجمه ٣٠ الف فرد مسلحين تسليحا خفيفا في مجموعهم.

● وسط الحرب المشتعلة، هل تعتقدون في البوسنة والهرسك بامكانية تحقيق كل اهدافكم بالوسائل السلمية؟

● ● من الصعب الحصول على كل شيء سلبيا. لكن يجب علينا الحصول على حقوقنا بالسبيل السلمية، لانها الطريقة الوحيدة واختيارنا الوحيد. من الخطير في البوسنة والهرسك تبني مخاطرنا الحرب والتورط في قتال. مثل هذا القتال سيتحول الى معارك ضارية على ارضية دينية وعرقية. لن تصبح حربا اهلية، بل حربا دينية. المجازفة باندلاع القتال في البوسنة والهرسك تعني اشتعال سيجارة في مكان مليء بالوقود. لذلك نختار السلام والصبر وسياسة النفس الطويل، مالم ن تعرض لهجوم يضطررنا للقتال. فنحن مستعدون للدفاع عن انفسنا.

● والخامس عشر من يناير؟ ..

● ● يوم فاصل في تاريخنا، لقد تقدمنا فعلا بطلب الاعتراف بنا.. وهناك تقدم واضح - حتى وقتنا هذا - في الاتصالات التي نجريها من اجل الحصول على الاعتراف باستقلالنا من قبل دول المجموعة الاوروبية ولجانها المتخصصة المكونة من الخبراء. لذلك يخضع طلبنا للدراسة للوصول الى قرار ينتظر صدوره بدءا من الخامس عشر من الشهر الحالي، من جانبنا انحرص على تحقيق كافة الشروط المطلوبة من المجموعة الاوروبية. لم يكن لدينا اختيار آخر غير التقدم بطلب الاعتراف بدلا من البقاء كضحية لمشروع صربيا الكبى الذي نرفضه.

فرانيو توجمان

التقيت به صباح يوم احد غارقا في هموم السياسة وال الحرب وايضا معاناة الداخل الذي يفترسه اقتصاد الحرب. يوم السبت اخبرتني المتحدثة باسم الرئاسة فيينا شكاره بأنه تمت الموافقة على المقابلة بنسبة تسعين في المائة وتبقى فقط نسبة عشرة في المائة تحتاج للتأكد مرة اخرى صباح الاحد قبل الموعد المقرر. في النهاية وصلت الى نسبة المائة في المائة والتقى بالرئيس فرانسيو توجمان في مكتبه الفخم الذي يرجع للرئيس تيتو فيما سبق بقليلا زغربا المقر الرئاسي بکرواتيا. يبلغ الرئيس توجمان من العمر سبعين عاما، شارك في حرب التحرير برتبة جنرال.



○ فرانسيو توجمان

شيوعي سابق، لكنه تعرض للسجن بسبب نزعته الكرواتية. أسس «حزب الاتحاد الديمقراطي الكرواتي» بمجرد خروجه من السجن. درس التاريخ في جامعة زغرب والفق عده كتب في نفس المجال. متزوج راب لولد وبنت.

مثل الرئيس بيجوفيتش يفهم الانجليزية ولا يتقنها. لذلك كان يجب مباشرة على استئناف دون انتظار المترجم، بينما حرص على الاجابة باللغة المحلية ضماناً لدقّة اللفظ والمعنى. في البداية طرحت معه إلى أهم ملامح التجربة الكرواتية في ظل الاستقلال، فأجاب قائلاً: « يريد ان تصبح كرواتيا نموذجاً للبرلمانية الديمقراطية والتعددية الحزبية. نريد ان تتبع سياسة السوق الحر كمنهج اقتصادي يتماشى مع سياسات العالم الحر. لقد فهم العالم ان هذا النظام هو الأفضل للبشرية. ليس هناك نظام مثالي. ولكن التعددية واقتصاد السوق هما الأفضل من حيث الاهداف المباشرة، وكذلك لتوطيد العلاقات بين دول الجوار ودول العالم مجتمعة. هذه المبادئ، تشكل القواعد الأساسية للديمقراطية لذلك يجب ان نراعي في هذا الاطار العام طبيعة كل دولة وظروفها الخاصة وأمال الشعوب وطموحاتها وتنمية المسيرة الديمقراطية وظروف المجتمع ذاته واحترام تقاليده وتاريخه».

● هل تعتقدون ان سواحل الادرياتيك سبب رئيسي لتحرك الجيش اليوغسلافي او الصربي بمواجهتكم، وتحرك المانيا السريع للاعتراف بكم؟

● ● ستفقد صربيا كل هذه السواحل بعد انهيار يوغسلافيا وحصولنا على الاستقلال. هذهحقيقة تبدو واضحة في مرحلة ما بعد الحرب، على الجانب الآخر لا توجد لدى المانيا اطماع في الاراضي الكرواتية. من ناحيتنا ستفتح شواطئنا للاتصال بالمانيا او اي دولة اخرى تود ان ترسى روابط مع كرواتيا او بواسطتها من والى وسط اوروبا والبحر المتوسط.

● يقولون ان بون تنظر دائماً لسواحلكم على الادرياتيك، خاصة في ظل امتلاكها ميناء وحيداً هو هامبورج!

● نحن نقدر ونأخذ في الاعتبار الموقف الالماني المادر بالاعتراف باستقلالنا، فقد قادت بون الاتجاه داخل اوروبا نحو الاعتراف بكرواتيا. من ناحية اخرى يجب الا ننسى ان هناك دولاً صغيرة اعترفت بنا ايضاً مثل ايسلندا ومالطا فضلاً عن دولة أخرى في موقع وسط بين النموذجين السابقين وهي السويد. علينا ان نبني علاقات شاملة مع المانيا، بما لا يتناقض واستقلالنا وسيادتنا وبدون الدخول في وضعية خاصة لهذه العلاقات قد تنقص من استقلالنا.

● الحرب الدامية بينكم وبين صربيا - هل ستتحول دون وجود علاقات مستقبلاً بعد حلول السلام؟

● منذ عام ونصف عام طرحنا حلاً لتفادي ملامح الازمة التي كانت مقبلة آنذاك. طالبنا بصفحة الكونفدرالية بتعاون جميع الجمهوريات تحول دون اندلاع الحرب. وهي صيغة تحفظ في الوقت ذاته على صيغة الدولة اليوغسلافية كاطار عام تدرج تحته دول متحدة ذات سيادة، وبالتالي عملنا على تفادي الحرب والسيطرة دون وقوعها، لكن صربيا لم تأبه بالاقتراح وفرضت علينا

شاهد على مأساة البوسنة

الحرب.. الآن لم يعد هناك محل لطرح اقتراح اتحادي فقد تجاوز الواقع ذلك الطرح في ظل الحرب المشتعلة. اعتقد أنه بمجرد انتهاء الحرب وتمتعنا بالاستقلال والسيادة، سوف يكون هناك مجال لإقامة نوع من العلاقات خاصة في الميدان الاقتصادي عبر الارتباطات الاقتصادية التي اوجدها الدولة اليوغسلافية في السابق.

● الاعتراف الالماني المبكر بکرواتيا والتردد الفرنسي الواضح هل يمكن ان يؤثرا على علاقتكم مستقبلا بالطرفين ايجاباً وسلباً؟

● هناك فوارق ضئيلة بين موقفى المانيا وفرنسا ازاء الشكلة الكرواتية، وقد قامت الدولتان في إطار المجموعة الاوروبية بوضع عدة شروط للاعتراف بالاستقلال.. قامت المانيا بالاعتراف بدولة کرواتيا التي تحتم وتحقق هذه الشروط، واعتقد ان فرنسا ستلتاح بها عاجلا.. الموقف الحالي يظهر تضليل کرواتيا من اجل الاستقلال والسيادة والتحول نهائيا عن الشيوعية.. فالتحرك الكرواتي يعكس التغيير الواقع من حولنا ليس فقط في اوروبا، ولكن على مستوى العالم واعادة تشكيل اساسياته من جديد.

● ماذا عن الخامس عشر من الشهر الحالى؟

● الخامس عشر من يناير يعني لدينا الاعتراف بجمهوريہ کرواتيا وضع حدنهائي للحرب من خلال وقف اطلاق النار كاعتبار يحظى بالاولوية في اهتماماتنا. ويوفر نهاية حقيقة للحرب والعدوان علينا، الاعتبار الثاني الذي يبرز في هذا التاريخ، هو اعتراف العالم بدولة کرواتيا المستقلة. أمل ان يتتحقق العرب بدول العالم التي يمكن ان تعرف بنا بدءا بالخامس عشر من يناير.. واعبر - بهذه المناسبة - عن دهشتي من ان الدول العربية لم تأخذ المبادرة وتنضم الى الدول التي سارت الى الاعتراف بکرواتيا.

ان الدول العربية تحتل مكانة مهمة جدا في حركة عدم الانحياز التي يعده الرئيس تito احد مؤسسيها الرئيسيين. وقد اقام الرئيس السابق علاقات ودية وطيبة مع الدول العربية بالمشاركة مع الرئيس جمال عبدالناصر، احد اهم مرتكزات الحركة بقيادة تito وناصر كان الاعتراف بحق الشعب في الاستقلال والسيادة. ويمكن تطبيق هذا المطلب الان على الشعب الكرواتي الذي جاء منه جوزيف بروز تيتور.

● ماذا تنتظرون من الدول العربية؟..

● ننتظر من الدول العربية ان تعرف باستقلالنا كدولة ذات سيادة. نأمل ان تمتد جسور التعاون الاقتصادي بين الجانبين مستقبلا. مما يدعم تفاؤلنا بامكانية تطوير العلاقات وتنميتها ان جمهوريہ کرواتيا تخضع اقلية مسلمة، مما يعد عنصرا جيدا بهذا الصدد.. بطبيعة الحال يشكل آفاق التعاون الاقتصادي عاملأ حيويا في العلاقات الثنائية، النفط مثلا من اشكال التعاون المأمول، لدينا منشآت انتاج نفطية، كما توجد لنا احتياجات حقيقة على صعيد استيراد النفط. كذلك تضم اراضي کرواتيا خططا لانابيب النفط مرتبطة بوسط اوروبا وتمر بال مجر وتشيكوسلوفاكيا، يمكن ان يكون عاملا جذبا للاستثمارات العربية لتسويق خام النفط. ويشمل

مجال الاستثمارات ايضاً رأس المال العربي الذي سيجد مجموعة تسهيلات كي ينطلق عبر الاقتصاد الكروati.

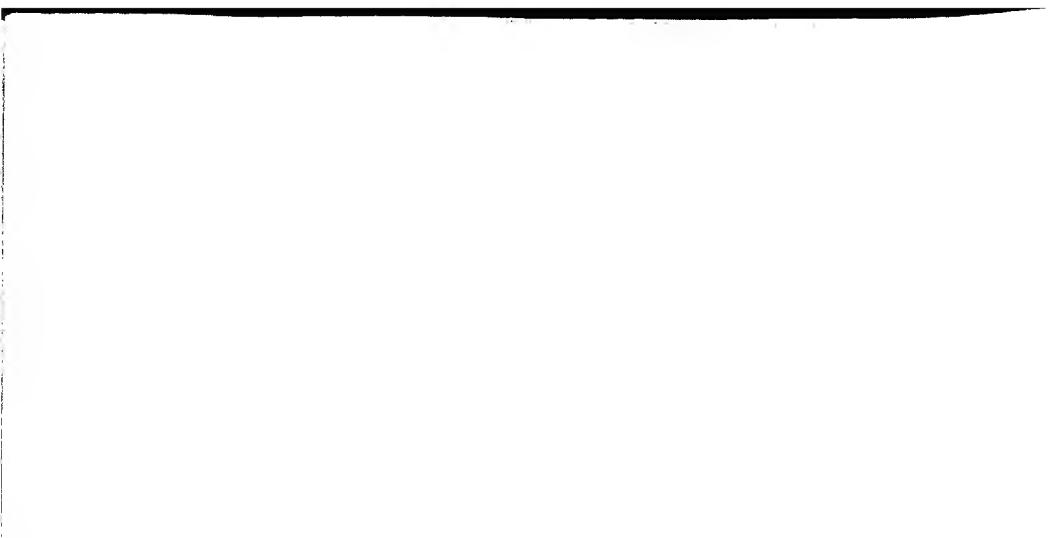
● انت رجل تاريخ، كيف ترى حقيقة الصراع بين صربيا وكرواتيا؟

● نحن وصربنا ننتمي لحضارات مختلفتين، كرواتيا ترجع لغرب اوروبا بتاريخها ودينها المختلفين، بعد ٧٣ سنة قضيناها سوياً في ظل الدولة اليوغسلافية «سابقاً» لم تتخلص الفروق بيننا بسبب الموقف الصربي. ستظل صربنا محكمة برواها التاريخية الى ان يتم تأسيس نظام ديمقراطي فيها. رغم ذلك أمل في ان نقيم معاً علاقات جيدة مستقبلاً، بدلاً من الدخول في وضع تسوده القطيعة.



Gift of the National Library of the
Republic of Bosnia and Herzegovina

الفصل الثاني
الرحلة
الثانية



العدوان الصربى على البوسنة والهرسك الذى أندلعت شراراته في الرابع من ابريل عام ١٩٩٢ جاء نتاجاً منطقياً لسلسلة تطورات سبقته. وقد بذل الرئيس علي عزت بيغوفيتتش جهداً مستحيلاً ليتنزع عن هذا التطور صفة المنطقية ويجعله أمراً مستحيلاً بتأثير القوى الضاغطة المحلية والدولية، إلا أن جهوده ذهبت أدراج الرياح. العدوان — رغم محاولات الرئيس — لم يفاجئني كمالم يفاجئ الكثيرين.

استشرفت في رحلتي الأولى رياحه القادمة من بلجراد عبر حدثن، ربما لم يلتقط اليهما بما فيه الكفاية. الحادث الأول



* وحيدى بىالىتش

ضحيته وحيدى بىالىتش. جندي شاب مثل مئات الآلاف من الشباب البوسني البسيط القادر من الريف. مجند في الجيش الاتحادي أو الصربى، لا فرق بينهما طالما ان القرار قرار بلجراد. كعادته انهى اجازته التي امضها مع اهله وعاد ادراجها الى وحدته العسكرية. هذه المرة لم يرجع الى اهله في اجازة جديدة. لم يصعد الى ذلك

البيت الريفي الصغير الذى تضممه قرية كمنسكوف الواقعة على بعد ٦٠ كيلو متراً غرب سراييفو. نعم عاد وحيدى لكن عودته كانت جد حزينة ومساوية، محمولاً في نعش مع خطاب مرفق من الجيش الصربى. القرية التى تعيش نائمة هادئة تحت الثلوج في أعلى قمة جبلية انقضت حزناً على الشهيد. صعدت الجبل واستمعت الى والد وحيدى. حزن ممزوج بغضب يفوق ثقله ثقل الجبل ذاته الذي طالما جابه الابن الراحل. قال لي انه طلب من طبيب القرية ان يوقع الكشف على جسد وحيدى، تبين ان وحيدى تعرض لاطلاق النار من مسافة قريبة جداً. اخترق الرصاص رأسه على عمق سبعة سنتيمترات.

تتوالى رواية الاب. قتله الصرب وهو نائم لأن رفض المشاركة في القتال ضد الكروات. قتلوا وحيدى البالغ من العمر عشرين عاماً المشهود له بالصلاح واعتبار المساجد اقسم لي الاب انه سيقاوم اي استدعاء جديد يأتي لشقيقه ●. لم يكن الحادث الاول من نوعه. فقد شهدت سراييفو جنازة ضخمة في الاسابيع الاخيرة من عام ١٩٩١، لاول شهيد مسلم يقتل في نفس

شاهد على مأساة البوسنة

الظروف. تميزت الجنازة بحضور واسع من المُشيعين والمُرور أمام مقر القيادة العامة للجيش الصربى في مظاهرة احتجاج. أيضًا رفع المُشيعون الجثمان فوق الأكف وذلك مظهر بوسنوي لا يتبع فقط إلا مع الشهداء.

الحادث الثاني شهدته العاصمة البوسنية. شاحنتان محملتان بقوافز صواريخ وقنابل، ضبطتهما الشرطة في عملية تفتيش روتينية على أوراق الشحنة المنقولة. مدرون في الأوراق أن الشحنة تتضم صناديق ملءة بالوزن الذي ظهر أنه في حقيقة الأمر قوافز الصواريخ، والانانس الذي اتضح ان كميات من القنابل. تجمع الناس حول مركز الشرطة حيث احتجزن الشاحنتان. اسرع الجيش الصربى بارسال بعض الضباط والجنود لاطلاق المحتجزين. تصدت الشرطة البوسنية للجيش واصرت على ابقاء الشحنتين لديها. كانت فترة ما قبل العدوان مليئة — على ما يبدو — بعمليات نقل وتكميس السلاح في أيدي الصرب استعداداً لمرحلة الحرب.

ذهبت الى البوسنة والهرسك وكرواتيا في رحلتي الثانية ● وفي ذاكرتي هذان الحادثان بكل دلالاتهما. فقد كان واضحًا منذ البداية ان الطرفين، البوسنة والهرسك وصربيا اختارا الحرب سبيلاً على طريق المواجهة. لكن الحرب التي تبنتهما سرایيفو اصطبغت باللون الاخضر، منتهجة دبلوماسية السلام دون اللجوء الى السلاح والبارود. أما بجراد فلم تر غير الحرب بالسلاح طریقاً وحیداً لفرض ارادتها مستغلة في ذلك الاقلية الصربية الضخمة داخل الجمهورية وفلول القوات النظامية لتعطيل مشروع الدولة الواحدة ذات الاغلبية المسلمة.

● اواخر شهر مايو ١٩٩٢ واستمرت اثنا عشر يوماً.

مجرد نمودج

لم يشتعل حريق البوسنة والهرسك على يد صربيا فجأة في يوم وليلة، بل هو حريق مستمر على مدى نحو قرنين من الزمان، تفاوتت خلالها حدة لهبيه، والرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش مجرد نمودج تكرر مرات عدة طال هذا التاريخ المشحون كرها لل المسلمين أشهر النماذج الدموية ستوجان نوفاكوفيتش الذي يعد من الشخصيات الصربيّة التاريخية المتعطشة سواء داخل البوسنة أو صربيا نفسها.

نوفاكوفيتش صاحب دعوة «تطهير الأمة من الاتراك» الذين حكموا المنطقة طيلة أربعة قرون، وتشهد الأدبيات في منطقة البلقان خاصة على أن كلمة تركي هي مرادف حقيقي للمسلم، وفي إطار تلك الدعوة المجنونة اقتحم المتطرفون مدينة بلجراد في الثامن من يناير عام ١٨٠٧ وعاثوا فيها فسادا لم يقتصر الامر على المسلمين فقط، بل شملت قائمة الضحايا اضافة اليهم اليونانيين واليهود، وهدموا عشرات المساجد والمقابر والمدارس الإسلامية، عنف لم تشهده العاصمة الصربيّة مرة أخرى في تاريخها، وذاق وباله البوسنيون الذين سكناها في تلك الفترة.

مونتينيغرو او «الجبل الاسود» بُرِزَتْ في نفس الاتجاه عام ١٨٥٢ حينما تم اجبار المسلمين على اعتناق المسيحية مراسيم جماعية في منطقة وادي نهر ليم، بعكس الشرائع الكنسية الارثوذوكسية التي تنص على تعميد كل فرد على حدة بواسطة القدس داخل الكنيسة، تم التعميد الجماعي في مسرحية هزلية تحت اشراف زعماء القبائل ورجال الشرطة، بعد ذلك بستة وعشرين عاما اعلن مؤتمر برلين كلا من صربيا ومونتينيغرو دولة مستقلة، كسبت صربيا بموجب القرار اراضي جديدة أهلة بالآلاف المسلمين لم يسلموا من الاختطهاد الصربي، مما دفعهم الى الهجرة، مؤتمر برلين اهدى ايضاً مونتينيغرو - ضمن توزيع العثمانيّة - اراضي جديدة شملت عدة مدن من البوسنة والهرسك، تكرر سيناريو الاختطهاد في بدأت الهجرة الى البوسنة والسنجد وكوسوفو والبانيا، شملت قائمة المدن المسلوبة بموجب قرار برلين نيكستيش، وبودجوريكا، وبيران، وكولاتسين وبار، واوسيني، وتزامنت تلك الاحداث المأساوية مع احتلال الامبراطورية المجرية - النمساوية للبوسنة والهرسك، تكرر سيناريو الاختطهاد في نفس عام ١٨٧٨ بعد القضاء على مقاومة شرسه من المسلمين، استهل الاحتلال سياسة مستمرة لتغيير هوية الشعب البوسني ادت الى احساس بالضياع، وعلى اثر ذلك استيقظت موجات الهجرة من جديد باتجاه تركيا وبعض دول الشرق الاوسط، اشارت اكثر الاحصائيات اياماً عن هذه الفترة الى ان مواطننا من بين كل ثلاثة مواطنين نزح من ارض اجداده تاركا بيته حفاظا على دينه ليستقر في المهرج بشكل دائم.

حروب البلقان التي اشتعلت بين عامي ١٩١٢ و ١٩١٤ جلبت المزيد من المأسى، فقد جرى التهام اقليم السنجد وتقسيمه بين صربيا ومونتينيغرو بعد سلخه من البوسنة والهرسك دخل الاقليم مع هذا التطور مرحلة الابادة الجماعية، دفعت ابناءه الى الهجرة لختلف انحاء العالم، تعرض مسلمو منطقتي بلاف وجوسنی لانتهاكات مأساوية على يد عصابات النهب في مونتينيغرو، فقد حرقـت البيوت واغتصبت النساء وقتلـا البريءـ، بدأ الأمر بقتل المئات واعقبـه اـكـراهـ

شاهد على مأساة البوسنة

١٣ الفا على اعتناق المسيحية، لكنهم عادوا جميعا لاحقا لحظيرة الاسلام لاحقاً. حلقة جديدة من الابادة المنظمة ضد ابناء البوسنة والهرسك، بدأت في الظهور مع اعلان تأسيس يوغسلافيا التي كانت تحمل اسم مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين طال الامر ايضا الاقليمين المسلمين السنجق وكوسوفو فضلا عن المسلمين في مقدونيا، شهدت منطقة شرق الهرسك وحدها قتل ٣٠٠٠ مسلم دون اي محاكمة . ومرة اخرى نكتشف في التاريخ نماذج لسلوبودان ميلوسيفيتش. فقد تمت المجزرة على يد عصابات كل من ماجوفيتش وبيتار روجان من شهر المذبح واكثرها مأساوية في ظل مملكة يوغسلافيا تلك التي وقعت في بداية نوفمبر عام ١٩٢٤ في قريتي ساهوفيتش وبافيانيو بولجي الواقعتين بمنطقة بيجيلو بوجل، حيث قتل ٦٠٠ مسلم في ليلة واحدة بطريقة يصعب ان يوجد لها مثيل في التاريخ، فقد تم تقطيع اجساد الرجال والنساء والاطفال احياء، وفقت عيونهم، وقطعت اذانهم واعضاءهم التناسلية، كما استخرجت احشاؤهم ورسموا عليها علامه الصليب بالسكن، واضطرب الناجون منهم للنزوح الى شمال البوسنة وتركيا والبانيا.

التاريخ الملطخ

تقلب صفحات التاريخ الملطخ بالدم يكشف ايضا عن اضطهاد اقتصادي مارسته الملاكة اليوغسلافية، فقد اجرت ما سمي باصلاحات زراعية استهدفت افقار مسلمي البوسنة ومحاصرة الدور النشط لابناء البوسنة والهرسك في دفع حركة المجتمع للامام، عبر تفتت مناطقهم واماكن تجمعاتهم لتتلاشى الهوية وتضييع معالم الشخصية المتميزة بتحولهم الى اقليات، ابرز مثال على ذلك الحال بعض اراضيهم بصربيا لتنزيلهم ضمن الغلبة، وعرف عام ١٩٣٩ قرارا بمثابة سرقة للتاريخ وذبح لحقائق الجغرافية، وهكذا تم تقسيم البوسنة بين صربيا من جهة وكرواتيا من جهة اخرى كمقدمة لاحاداث دموية فيما بعد اودت بحياة عشر المسلمين البوسنيين، تظهر الوثائق ان النادي الصربي الثقافي اعد مشروعين يستهدفان افراغ يوغسلافيا من المسلمين، الاول وضعه فاسو كوبيلوفيتش والثاني للدبليوماسي والكاتب المعروف ايقو اندريتش، وبذلك عرفت المنطقة هجرة مكثفة من البوسنة الى تركيا، كالعادة دمرت المساجد والمقابر الى جانب المدارس الثانوية الدينية والتکايا والحمامات التركية والعديد من المؤسسات الخيرية الاسلامية الاجتماعية والاقتصادية ومراکز انشطة كاملة.

حرب التحرير اليوغسلافية (١٩٤١ - ١٩٤٥) افرزت واقعا معقدا للغاية امام - المسلمين الذين بقوا اسرى الابادة الجماعية من جانبين الاول حكومة كرواتيا الفاشية المتحالفه مع النازية التي انكرت عليهم هويتهم التاريخية والجانب الآخر «الشتتنيك» وهم مليشيات الصرب الذين قاموا بعملية تصفيه جسدية للمسلمين وسط ضباب المقاومة ضد النازى كستار يخفى حقدها حقيقيا على الاسلام، وهم «الشتتنيك» الذين عاودوا الظهور الان في الحروب الدائرة داخل الجمهوريات اليوغسلافية «سابقا» ادركوا في الاربعينات ان ضجيج الحرب العالمية سيخفى المظالم الواقعه على شعب البوسنة والهرسك ستيفان مولجيوفيتش منظر «الشتتنيك» اشتهر ببرنامجه الرامي الى ابادة المسلمين او ترحيلهم الى كل من تركيا والبانيا، وعثر في مذكرات دلانا ميهائيلوفيتش قائد هذه

المليشيات على أوراق دعا فيها إلى تصفية مسلمي البوسنة، وقد ارتكت هذه المليشيات اعمال القتل الجماعي في مناطق ثلاثة هي: شرق الهرسك وشرق وغرب البوسنة، واجزاء معينة من السنجد وكانت الحملة الأولى وقت بين يونيو ١٩٤١ إلى فبراير ١٩٤٢ ، والحملة الثانية في أغسطس ١٩٤٢ والثالثة عام ١٩٤٣ واجتاحتها مدنًا كثيرة في المناطق الثلاث وعاثوا فيها قتلاً وفساداً، ومن بين قائمة المدن المنكوبة لجوبتي، وبيلانا، وبيركوفيتش، وافتوفاك، وبيليشا وكولين - فاكوك، وكوراي وفيزجراد وروجاتيكا، وجورازد، وينيتش فالسينيكا، وصربرينكا، ونيقيسيني وفوكا وببروزور، وجابلانيكا، وبلفيجا وادستيكولينا، وجروني، وبيراتش ومالي زفونينيك.

لقد أوجدت الحرب العالمية الثانية وسط هذه الظروف الحالكة أكثر من مائة ألف قتيل مسلم لا يروا لهم على يد المليشيات والحكومة الفاشية، لم يفرّقوا بين طفل، وامرأة ورجل، كان القتل على الهوية.. على الاسلام حرقوا المزارع والبيوت على طريقة دير ياسين التي جاءت في اعتقادها بسنين قليلة، سلخوا جلد الضحايا عند الوجه والرأس حتى الرقبة في عمل يرمي الى حجاب المسلمين كانت الفترة من (١٩٤١ - ١٩٤٥) التي ارتفعت فيها ممارسات العداون والاضطهاد، بمنأى نهاية او خاتمة درامية للذبح الجماعي الذي استمر نحو قرنين في البوسنة والهرسك والسنجد ووصلت نسبة القتل من اجمالي الشعب المسلم في سنوات الحرب العالمية الثانية وفق التقديرات المتوسطة الى ٦٧٪. بقدوم الشيوعيين الى الحكم امكن للقيادة الجدد ان يضيّبوا الهوس العربي والموتنينجرى ويقلّلوا من سلوكهم الهمجي، لكن ستاراً من السكوت والاهمال اسدل على تلك المجازر الجماعية البشعة، مما خلف شعوراً بالمارارة لدى المسلمين في سائر انحاء يوغسلافيا «السابقة» الذين احسوا انهم يحتلون درجة اقل في السلم الاجتماعي للشعوب اليوغسلافية لكن المؤكد ان فترة حكم تيتو وضفت حد لஹمات الدم على النحو الذي كان سائداً من قبل، لكن الزعيم الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش جزار اليوم الخارج من تحت عباءة عهد تيتو والحكم الشيوعي حمل معه كل أحقاد التاريخ الصربي الارثوذكسي على الحكم العثماني ومن ثم مسلمي يوغسلافيا «سابقاً» وعلى نحو خاص البوسنة والهرسك والسنجد وايضاً كوسوفو التي تمر بفترة اكثر من عصبية في ظل الهيمنة الصربية.

عمر باشا

نار القصف الصاربي للبوسنة والهرسك تطال احياء الجمهورية ذات الاغلبية المسلمة.. مدينة، وشارعاً شارعاً، ما يحدث في ارض الساجد العثمانية الطراز ليس مجرد معركة بين جيش نظامي ومجموعات من المجاهدين البوسنيين، انه حرب ابادة منظمة ومعدة بشكل جيد لتدمير البشر والدولة ذاتها، وسط هذا العنف المجنون يتورّن التساؤل الطبيعي: ما هو مستقبل البوسنة والهرسك التي تعانى الامررين من جراء دينها وموقعها وتاريخها؟ استطاعت آراء اربعة من اهم قيادات المسلمين في البوسنة والهرسك ويوغسلافيا (السابقة)، منهم اثنان من المؤسسة السياسية الحزبية همـاـد. شمس تانكوبينتش رئيس حزب العمل الديمقراطي في كرواتيا وعضو قيادة الحزب في البوسنة، ود. سليمان اوجليانين رئيس حزب العمل الديمقراطي في اقليم السنجد ونائب رئيس الجمهورية على عزت بيروفيفتش بصفته رئيس حزب العمل الديمقراطي

شاهد على مأساة البوسنة

(الإسلامي) في البوسنة. من المؤسسة الدينية بمعناها الفقهى والدعوى تم استطلاع اراء الشيخ يعقوب مصطفى سليموسكى رئيس العلماء والمجلس الأعلى للطائفة الإسلامية في يوغوسلافيا السابقة وأعلى مرجع دينى رسمي لسبعة ملايين مسلم، **والشيخ شوقي عمر باشا** رئيس لجنة الطوارئ لمساعدة البوسنة والهرسك ورئيس المشيخة الإسلامية في جمهوريتى كرواتيا وسلوفينيا، وكلاهما يقوم بدور ملحوظ في تسيير الشئون



الدينية التي تتقاطع في أكثر من مفصل مع الواقع المعاش بهموم الحرب والسياسة والاغاثة. أنها محاولة لفهم وتحليل العناصر التي تحكم رؤية الداخل البوسني والإسلامي عامه. وغنى عن البيان ان الصرب اهلكوا الحرش والنسل ونحن في العالم الإسلامي غارقين في فعل المشاهدة والمتتابعة دون ان نخرج بمشاعرنا الى حيز الفعل الا من جهود اغاثية مشرفة قامت بها بعض هيئات الاغاثة الخليجية.

تبدأ حوارات الاستطلاع مع قيادات المسلمين بالشيخ شوقي * **الشيخ شوقي عمر باشا** رئيس لجنة الطوارئ لمساعدة البوسنة والهرسك ورئيس المشيخة الإسلامية في جمهوريتى كرواتيا وسلوفينيا، يتولى مسئولية ضخمة في المرحلة الحالية استنادا الى عاملين اساسيين:

أولاً: موقعه الشرعي كرئيس للمشيخة الإسلامية في كرواتيا وسلوفينيا.

ثانياً: تواجده ونفوذه الفاعل في كرواتيا التي تستضيف الثقل الرئيسي من تيار المهاجرين البوسنيين الذي لا ينقطع وهو يشكل مع المهاجرين الكروات حوالي مليون شخص.

الشيخ شوقي من انصار الخيار المسلح.. ليس الآن فقط، فذلك خيار الجميع تحت وطأة القصف الصربى، انما الرجل المسلم الكرواتى اكتشف مبكرا جدا ضرورة تسليح الشعب البوسنى تحسبا لاي طارىء فالتجربة التاريخية القديمة تثبت تعطشنا صربيا لدماء المسلمين، والتجربة التاريخية الحديثة منذ العام الماضى تثبت جدوى استخدام الكروات للسلاح لکبح جماح الشهوة الصربية في العدوان ومحاولات بسط النفوذ خارج الحدود.

من ابرز جهود رئيس لجنة الطوارئ لدى زغرب سعيه لاستقبال الجرحى العسكريين وعلاجهم. يقول عن هذا الموقف الكرواتى «يت gio بيون معنا ويتولون تلك المسؤولية بدون مقابل. ويتنوع الجرحى بين المستشفى العسكري وسبعة عشر مستشفى مدنيا في العاصمة الكرواتية زغرب، الارقام الرسمية عن القتل تشير الى اربعة آلاف قتيل ●. اعتقاد ان الرقم الحقيقي عشرة آلاف قتيل. يؤكّد ذلك اسلوب القتل الجماعي والتمهير الشامل الذي يشنّه الصرب خاصة على الحدود المشتركة مع البوسنة. حدث ذلك على جانبى نهر (درينا) في مدن عديدة مثل بيلينا وزفورنيك وسرفليتسا وفرنتشا وبراتوناتش. هذه المدن اخلت جميعا من المسلمين بعد ان بدأ

القتال في عيد الفطر يوم الرابع من أبريل. اختيار التوقيت جاء متعمداً ليتزامن مع عيد المسلمين.

● دوركم كهيئة إسلامية في زغرب؟

● تقوم بالوعية الدينية وسط المهاجرين الذين بلغ عددهم في كرواتيا وحدها ٢٧٠ ألف شخص من النساء والأطفال والكهول، يضاف إليهم عدد المسلمين من إبناء كرواتيا البالغ ٢٠٠ ألف شخص ويمثلون نسبة ٢٪ من إجمالي عدد السكان ويقوم على خدمتهم ١٤ إماماً، سعينا منذ اليوم الأول لتدفق المهاجرين إلى توفير سبل المعيشة من مسكن ومأكل واحتياجات طبية، جاء بعدها دور التوعية الدينية، حيث تم تشكيل فريق من الأئمة يتكون من ٥٤ إماماً بعد أن أضيف إليهم ٤ إماماً. رافقوا المهاجرين في رحلتهم من البوسنة والهرسك، تم توزيعهم على المساجد والمدن وتجمعات المهاجرين عموماً، كما بدأنا مؤخراً باعداد كتاب إسلامي خاص للتوعية المهاجرين وسط هذه الظروف الاستثنائية.

● أنتم مرتبطون بشكل أو آخر، بالواقع الكرواتي وما يعانيه أصلاً بسبب الحرب؟

● كرواتيا لديها أصلاً ٧٠٠ ألف مهاجر من داخل كرواتيا من جراء الحرب مع صربيا التي تحتل ثلث البلاد، واقترب العدد من المليون بعد لجوء المهاجرين البوسنيين إلى كرواتيا، هؤلاء يزداد حجمهم يومياً بمعدل يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ مهاجر يمثل المسلمون نسبة ٩٥٪ منهم، فالمدن البوسنية التي يقطنها الكروات متحركة من سيطرة الصرب وتقع في الهرسك الغربية.

● والاتصال مع كرواتيا على الصعيد الرسمي؟

● التقى مع نائب رئيس الوزراء الكرواتي المسؤول عن شئون النازحين للتنسيق والتشاور وببحث أوضاع المهاجرين.

● ملامح الحرب حاضراً ومستقبلاً؟

● هناك تدمير صربي لمدن وقرى البوسنة. مازالت الحرب - وفقاً لتصوري - في بدايتها، المشكلة لن تنتهي في المستقبل القريب. إذا لم يحدث تدخل عسكري أجنبي، اعتقد أن الحرب ستستمر حوالي سنتين، فالحقد الصربي على الإسلام والمسلمين لا يعطي فرصة لنهضة قوية للحرب، في المقابل يتواصل رد الفعل البوسني - الكرواتي عبر تقوية الدفاعات العسكرية. كل ذلك يشير إلى امتداد الحرب لوقت طويل.

● ماذا عن امكانية السلام؟

● لا عودة للسلام إلا بتحرير كامل للبوسنة والهرسك، إذا أراد المسلمون والكروات المهاجرون العودة إلى البوسنة، لابد من تحريرها من العدوان الصربي أولاً.

● لماذا تقف بجانب التدخل العسكري الأجنبي؟

● قناعتي أن الحل الحاسم يقتضي تدخلاً عسكرياً أجنبياً وسريعاً، جمهورية صربيا التي بدأت الحرب لاتزال قوية جداً. جيشها يحتل المرتبة الرابعة بين جيوش أوروبا، اغتصب أسلحة من

شاهد على مأساة البوسنة

حق البوسنة والهرسك، هذا الجيش لم يتم بناؤه بمال وخبرات الصربي وحدهم، إنما شاركت فيه جميع شعوب يوغوسلافيا السابقة، كل ذلك تم الاستيلاء عليه ومصادرته لصالح بجراد، يضاف إلى ذلك قسوة وبشاعة الجرائم الصربية على يد الجيش والمليشيات (التشتنيك) سواء في البوسنة أو كرواتيا.

- واذا اشتعلت جبهتا كوسوفو والسنجد؟
- ● تتكسر حروب البلقان بشكل مصغر نسبيا.
- ● تتكسر حروب البلقان مرة أخرى ١٩١٢ - ١٩١٤
- ● لا اعتقد.. الاوروبيون مدركون لخطر توسيع دائرة الحرب.
- كيف ترى الموقف مع اعلان جمهورية كوسوفو المستقلة؟
- ● ارجح اشتعال الحرب وتطوير شررها الى السنجد.
- الاحتمالات المستقبلية لواقع مسلمي يوغوسلافيا السابقة ٩٩
- ● لدينا مستقبل جيد إن شاء الله — رغم الحرب — اذا ادركتنا ان القوة هي لغة التعامل مع عدو يستقرى على اراضى المسلمين.
- النموذج الكرواتي يفسر ما تذهب اليه ٩٩
- ● نعم استخدم الكروات القوة، فاقتلعوا جذورهم من ٧٠٪ من اراضيهم، انه الحل الوحيد.
- ● ومصادر التسلیح؟
- ● لابد ان يبحث عنها البوسنيون بأنفسهم؟
- ● وتسلیم الجيش الصربى (الاتحادي) لاسلحته قبل مغادرة الثكنات العسكرية في سراييفو؟
- ● خدعة.. تركوا صناديق فارغة ومئات البنادق القديمة.
- ● والدعم العربي والاسلامي؟
- ● هام وحيوى.. لكن العمل الحقيقي هو جهاد ابناء البوسنة انفسهم بالروح والمادة، لست من المؤمنين بأن القوة تأتي من الخارج. المصدر المادي الاساسي هو ابناء الشعب وايمانهم ثم تأتي بعده العوامل الخارجية ولها دورها الاساسي ايضا.
- ما يحدث اختبار لشعب البوسنة؟
- ● اختبار حقيقي، اما ان يستحقوا الدولة، واما ان يفشلوا، يجب ان يمرروا بنفس المرحلة التي مر بها الكروات المليئة بالدم والنار والتضحيه.
- ● كان رهان القيادة البوسنية رهانا على السلام!
- ● خطأ! القانون الازلي هو المحافظة على السلام بالقوة «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة».. قد ذبحونا كالابقار والغنم على امتداد مجرى نهر (درينا) بطول ٣٠٠ كيلومتر.. من المسئول عن هذا؟!

- الرئيس على عزت بي gio فيتش؟
- احترم جدا الرئيس، لكن سياسته لم تنجح.
- الرئيس لم يكن مطلق اليدين.. لديه اقلية صربية خشنة تليها اخرى كرواتية؟
- يجب الا نسلم بالواقع بزعم انه معاكس لرغباتنا. يجب النزول عند اراده الشعب. كان على الاخير أن يفرض رغبته على الرئيس. الرغبة في التسلیح والاستعداد. الرسول صل الله عليه وسلم نزل عند رغبة الصحابة في اختيار موقع غزوة أحد. الرئيس على عزت سجن وعذب على يد الصرب. يعرفهم اكثر مني. لم ينس بعد مذبحة نهر (درينا) التي وقعت سابقاً في التاريخ،وها هي تتكرر اليوم. قتل الصرب في مدينة فوتشا وحدها ٥ الاف مسلم وحرقوا كل ماطالتهم ايديهم.
- اضيف ان المسئولية الحقيقة تقع على عاتق المحيطين بالرئيس من المسلمين والكردوات على السواء، كيف افلتت من بين ايديهم سبل تعزيز مواقعهم ولديهم حقائب وزارات الدفاع والداخلية والخارجية والمالية.
- ودورك بمواجهة هذا التيار؟
- نيهنام في كرواتيا منذ وقت مبكر بأن الحرب لا مفر منها.. لم يلقوا بالا لهذه التحذيرات.
- الوقت الآن متاخر جدا؟
- المشكلة البوسنية الرئيسية ليست الروح الجهادية التي تتوافر والحمد لله، هناك حالة من التخبط العسكري اكتشفتها بعد عودتي من جولة في الجبهة استمرت عشرة ايام*. زرت جميع المدن ووصلت الى مسافة ٤ كيلومترات من سراييفو، اكتشفت ان كل مدينة تدافع عن نفسها منفردة بمعزل عن المدن الاخرى ودون تنسيق، لا تري ان تنتشر خارج حدودها لتعاون جاراتها وتمد خطوط دفاعاتها للتواصل مع بقية الخطوط، يوجد عسكريون بوسنويون محترفون وخبراء عسكريون، لكنها مفتتة ومقطعة الاوصال.
- والحل؟
- تشكيل قتالي من لواءين الى ثلاثة يتكون من ١٥ ألف مجاهد كقوة مستقلة تعمل للدفاع عن جميع اراضي البوسنة بشكل حر ومحرك حسب مقتضيات المعركة، ولا تقصر جهودها على الدفاع عن مدينة بعينها، فانهما كل مدينة بالدفاع عن نفسها منفردة يعطي للصرب فرصه الالتفاف حولها وفرض الحصار، ويحول دون شن هجمات مضادة كبيرة، يعزز ذلك نوعية السلاح الصربى الذى يشمل الطيران والمدفعية والدبابات.
- من مظاهر حالة التخبط او الفوضى اذا جاز التعبير؟
- يوجد في بعض المدن ألف مجاهد او الفان، في البعض الآخر لا يوجد أى مجاهد، كذلك لا نعرف عدد الدافعين عن سراييفو، المسلمين بوغتوا بالحرب، صدموا صدمة كاملة.
- حالة الصدمة مستمرة؟
- حسبما لاحظت في جولتي، بدأوا يستيقظون. تأتينا كل يوم عشرات الوفود طالبين

الأسلحة.

● لديكم اسلحة ثقيلة؟

● بدأنا الاستيراد مؤخراً.

مصطففي سليموسكي

الشيخ يعقوب مصطففي سليموسكي رئيس العلماء والمجلس الأعلى للطائفة الإسلامية في يوغوسلافيا السابقة يعد أعلى مرجع ديني رسمي لسبعة ملايين مسلم يتوزعون بين الجمهورية الام البوسنة والهرسك وبقية الجمهوريات السنت، قادر سراييفو بعد حوالى ثلاثة اسابيع من العداون الصربى، ولم يتمكن من العودة اليها، أشر في ظل هذا الوضع ان يمارس مهماته خارج الميدان مضطراً واتخذ المركز الإسلامي في زغرب مقراً مؤقتاً لتابعة الشئون الدعوية في ذلك الظرف الصعب.

يتنقل رئيس العلماء في الداخل والخارج بما تمله عليه مصالح تلك الامة التي تمثل خط الدفاع الاول عن المسلمين في الشمال وفي قلب اوروبا. التقى ببابا الفاتيكان، حيث تناقشا سويا حول اوضاع البوسنة والهرسك وال الحرب المستعرة على ارضها. وكان الاخير قد دعا اوروبا اكثر من مرة الى التدخل لحماية الجمهورية المسلمة، كما بحثا سويا امكانية التعاون كهيئات دينية، خاصة وان كرواتيا الكاثوليكية التي تستقبل المهاجرين المسلمين تتبع الفاتيكان، الى جانب ذلك التقى الشيخ يعقوب بقيادات المسلمين ويشارك بفعالية في الحوار الدائر واتخاذ القرارات الهامة. ويستقبل في الوقت نفسه العديد من الوفود الشعبية القادمة من العالم العربي والاسلامي شارحا لهم ابعاد القضية واهداف حرب الابادة الصربية، ومؤكدا على ضرورة دعم المسلمين في كل مكان لاخوانهم في البوسنة والهرسك وبقية جمهوريات يوغوسلافيا السابقة.

يتحدث رئيس المجلس الأعلى للطائفة الإسلامية عن غد المسلمين في جمهوريات يوغوسلافيا السابقة قائلاً: «دخلنا مرحلة صعبة جداً في تاريخ شبه جزيرة البلقان، المنطقة معرضة تاريخياً للانفجار في ظل تركيبة سكانية متعددة الشعوب والديانات، لذلك شهدت صراعات شهيرة تركت اثارها على العالم اجمع، خيار المسلمين الوحيد اليوم هو نيل الحرية الكاملة عام ١٩١٢ كانت بعض مناطق البلقان خاضعة للنفوذ العثماني، وعند توقيع (اتفاق برلين) كانت البوسنة والهرسك منطقة عثمانية، الاحقاد على البوسنيين والمسلمين عامة تعود الى ايام سيادة الدولة العثمانية في المنطقة، لذلك يعتبرون المسلمين هنا طائفه تركية او عثمانية بقيت في المنطقة بعد رحيل الفاتحين، هذا الادعاء غير صحيح، فمسلمو يوغوسلافيا ينتصرون في اغلبهم للمنطقة ولم يفدو اليها من الخارج، خطورة الوضع علاوة على اشتعاله في البوسنة، متمثل في امكانية اتساع دائرة الحرب لتشمل السنجد وكرسوفو ومقدونيا «اذا حدث ذلك ستشهد حرباً بلقانية جديدة».

● هل يمكن ان يتكرر سيناريو الحرب العالمية الاولى وتندلع شرارة الحرب من سراييفو وبالبلقان عامة؟

● هناك احتمال لوقوع مثل هذا السيناريو، قد يقتل ولـى العهد النمساوي في سراييفو،

وكان ذلك بداية الحرب العالمية الأولى، في الحرب العالمية الثانية، كان للمنطقة شأن كبير، كما ان كرسوفو ستستقل. إذ لا يمكن ان تبقى داخل صربيا، فهناك نزاع عميق وحقد صربي قديم.

● ما يحدث الان يفسره الاسلاميون بأنه في جزء منه راجع الى انسحاب الاسلام من مساحة كبيرة من الحياة اليومية للمسلمين في البوسنة وبقية اجزاء يوغوسلافيا السابقة!

● ● المحتلة عامه، بورما.. فلسطين وغيرها. اكثر من جرح في العالم الاسلامي. هذا اختبار من الله عز وجل ل تستقيم الامة على طريق الاسلام، لا يمكن اغفال العزلة التي عشناها طويلا عن العالم الاسلامي، العالم الاسلامي نفسه كان واقعا تحت سيطرة الاستعمار الاروبي المباشر، كما دخلت الدولة العثمانية مرحلة (رجل او روبا او الريض)، نحن نعيش - كذلك - في وسط مسيحي متغصص تصاعدت حدته في السنوات الاخيرة، ولا ينسينا هذا الواقع الغريب المنظم الذي وجهته الشيوعية للاديان مع التركيز الشديد على الاسلام بصفة خاصة، اذا اخذنا كل ماسبق في الاعتبار، سنرى ان الذى حدث لم يأت فقط بسبب نقص العلم والعمل بالدين. الامر متعلق ايضا بالظروف المحيطة والتحولات التي شهدتها المنطقة، من الطبيعي ان الجسم كله يتاثر اذا مرض اي عضو فيه.

● دور هيئة الطائفة الاسلامية في هذا الميدان؟

● ● بدأ المسلمين منذ حوالي عشرين عاما وبخاصة هيئة الطائفة الاسلامية بتطوير وتنشيط دورها الاسلامي وسط ظروف صعبة جدا يهيمن عليها الفكر والنفود الشيوعي، افتتحنا المدارس الثانوية الاسلامية وكلية الدراسات الاسلامية قبل ١٢ سنة، ابتعثنا عددا كبيرا من ابناء المسلمين للدراسة في جامعات الدول الاسلامية، خصوصا الازهر الذى كان له شأن واضح في هذا المجال، العام الحالى ● لدينا اكثر من ١٢٠ طالبا في جامعة الازهر وحدها، واعداد اخرى في الجامعات الاسلامية بالسعودية، وتونس، والجزائر والسودان وتركيا.

● هل يتوازن حجم البعثة مع عدد المسلمين؟

● ● نطلب من جانبنا منحا اكبر والمزيد من المساعدات لتطوير الدراسات الشرعية في مؤسساتنا التعليمية، بما يتناسب وعددنا البالغ سبعة ملايين نسمة من اجمالى عدد سكان يوغوسلافيا السابقة ومقداره اربع وعشرون مليون نسمة، نحن اكبر مجموعة اسلامية في اوروبا، شرحتنا للمسئولين في العالم الاسلامي اهمية بعث دور المسجد والمؤسسات التعليمية الاسلامية، ليقوم المسجد بمهمة الحقيقة كما كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

● أثرت الحرب على الشيوعيين باعتبارهم أهم رموز الرحلة السابقة؟

● ● الحرب فتحت عيون الناس حتى هؤلاء الذين انضموا يوما ما للحزب الشيوعي، بعضهم غير فكره بعد دعاه اشرفت عليها الدولة لفترة اقتربت من الخمسين عاما، هذا البعض تبني منهجا مكملا غير منقوص، عودته للإسلام سريعة وواسعة بعد اكتشاف حالة الغيبة التي عاشها طويلا، رأى ان الصرب لم تغادرهم رغبة مدمرا في احكام السيطرة على الآخرين، انتبه الى حقيقة

شاهد على مأساة البوسنة

الروح الاسلامية ودورها، الحرب - ايضاً - جعلتنا ننخرط في سلك الدفاع عن الاسلام وسط اوروبا المسيحية، ثم عن انفسنا داخل منطقة البلقان.

● بعض اسماء لقيادات شيوعية عادت الى حظيرة الاسلام!

● اذكر بعض الحالات في الجمهورية التي جئت منها (مقدونيا) مثل فخرى كايا احد اعضاء هيئة الرئاسة وقت الحكم الشيوعي، تحول الان الى الاسلام وانتهى الى احد الاحزاب الاسلامية، ويوجد في مقدونيا احزاب عديدة لل المسلمين مثل الحزب الديمقراطي الالباني، ففي مقدونيا كل الالبان مسلمون بنسبة مائة في المائة، هناك ايضاً الحزب الديمقراطي التركي، وحزب الشعب، وحزب العمل الديمقراطي، الشباب في سائر اتجاه يوغسلافيا (السابقة) يقبل الان على الاسلام جنباً الى جنب مع صفة المثقفين مثل اساتذة الجامعات، يزدادون ايماناً بدينهم، ومنهم من يتطلع للعمل في الهيئات الاسلامية.

● رأيك في محنة الحرب والمذابح؟

● المحنة نعمة من الله يثبتنا ويقوى بها انفسنا على طريق الاسلام.

● واقليم السنجد؟

- سيكون جزءاً من كوسوفو، وما ينطبق على كوسوفو، ينطبق على السنجد، الاخير يمكنه ان يصبح اقليماً يتمتع بالحكم الذاتي داخل جمهورية كوسوفو. انضمامه للبوسنة غير ممكن، لأن المجموعة الاوروبية تشرط عدم تغيير الحدود الداخلية للاعتراف بالدول المستقلة حديثاً.

● عودة للعالم الاسلامي.. تصورك على نحو اكثر تفصيلاً، لتحركه ازاء قضيتكم؟

● نطلب منه التدخل لدى مجلس الامن من اجل ارسال قوات دولية الى البوسنة لحمايتها من العدوان الخارجي، لابد ان يتحرك العالم الاسلامي اليوم قبل الغد، انا لا اتكلم عن هزيمة، فنحن لا نفك في مجرد امكانية وقوعها، اقصد فقط تزايد عدد الشهداء والدماء المراقاة، كما يجب تدعيم جهود الاغاثة سواء باتجاه داخل البوسنة او خارجها، يتوازي هذا العمل مع جهد اعلامي مكثف في مواجهة دعم مادي اعلامي صربي وكرواتي للاقلتين الصربية والクロاتية داخل البوسنة والهرسك.

● واعتراف بعض الدول الاسلامية بيوغوسلافيا الجديدة او يوغوسلافيا الثالثة؟

● يجب لا يتم الاعتراف بها.. انها دولة دمية تتبع سياسة عدوانية، اقصد بذلك الحكومة دون الشعب، سياستها ثابتة تهدف الى ابتلاع البوسنة والهرسك حالياً او مستقبلاً، الاعتراف يعني كذلك ابتلاع كوسوفو والسنجد وهما يضممان نحو مليونين ونصف المليون مسلم. في بلجراد يوجد خمسون الف مسلم لا يعرف أى مصير يمكن أن يحيط بهم.

● كيف تفسر اشتراك الشيخ حمدي يوسف مفتى بلجراد في حفل اعلان يوغوسلافيا الجديدة (صربيا والجبل الاسود)؟

● اتفهم تماماً موقفه واعرف مقدار الضغوط الصربية الواقعة عليه.. لذلك لا اطلب منه اكثر

مما يقدر عليه في مواجهة تهديدات يعلمها الجميع، المؤكد انه ينكر سياسات صربيا بقلبه.

شمس تانكوبويتش

د. شمس تانكوبويتش رئيس حزب العمل الديمقراطي في كرواتيا وعضو قيادة الحزب في البوسنة يحمل معاوره معه الى اجواء شديدة التفاؤل رغم اجواء الحرب غير الشريفة التي يشنها الصرب على شعب يكاد يكون اعزل من السلاح. استاذ جامعي انطلق من الاقتصاد الى قمة العمل السياسي الاسلامي في كرواتيا والبوسنة. لم يمنعه الاستشهاد اليومي للبوسنيين، من ان يتوقع لقاء ثانيا في سراييفو خلال شهر واحد، ربما زاده شلال الدم البريء النساب فوق اراضي البوسنة، يقينا في النصر الآتي من عند الله اولا وبدعم العالم العربي والاسلامي ثانيا. رئيس حزب العمل الكرواتي استاذ لعلم الاحصاء بجامعة زغرب له اربعة كتب ونحو خمسين بحثاً، حاصل على الدكتوراه في (التحليل الاقتصادي) يبلغ من العمر

* شمس تانكوبويتش
خمسين عاما، ابن لاسرة بوسنية عريقة الجذور، ولد في احدى المدن الواقعة على الحدود المشتركة بين البوسنة وكرواتيا، توف والده بعد ولادته ب احد عشر يوما فاعطته الاسرة اسم الوالد، الشقيق الاصغر لثلاثة اشقاء، متزوج، وأب لهارون وحارث.

يتحدث عن الاحتمالات القائمة امام البوسنة والهرسك بقوله ان هناك احتمالين «الاول: قيام الامارة الدولية بدورها خاصة مع ادراكها حجم المشكلة، وامكانية حدوث التدخل العسكري بعد فرض الحظر، اذا لم يتم التدخل، يبرز الاحتمال الثاني وهو وقوع نزاع طويل في البلقان ربما امتد لعشرين سنة».

● على نمط حروب البلقان ١٩١٢ - ١٩١٤

● لا اعتقد. واقع اليومن سيختلف تماما عن العقد الثاني من القرن الحالي، عند تأسيس يوغوسلافيا الاولى كان المسلمين خارج الدائرة. ولم يشاركون في تأسيس الدولة التي تحكمت بحمد الله، يوغوسلافيا الثانية شاركوا في تأسيسها وتكونتها من ست جمهوريات، غير انها اعترفت بخمس امم باستثناء امتنا المسلمة، كانت الجمهوريات هي صربيا ومقدونيا والجبل الاسود والبوسنة والهرسك وكرواتيا وسلوفينيا. دولة اليم الثالثة يختلف وضعها تماما، فهناك دولة البوسنة والهرسك المستقلة المعترض لها، حيث يعيش المسلمين كأغلبية، نحن اليم امة ذات كيان سياسي وهذا امر مؤكّد، هذا الواقع يحمل عنصرا جوهريا جديدا يختلف عن الدولتين السابقتين.

● انت رئيس حزب العمل الديمقراطي في كرواتيا، هل تنظر الى حزب العمل الديمقراطي في البوسنة والهرسك كحزب أم بالنسبة لكم؟
● انا لست فقط رئيسا للحزب في كرواتيا، لكنني كذلك عضو في قيادة الحزب بالبوسنة والهرسك، على عزت بييجوفيتش رئيس البوسنة والهرسك هو رئيس انا ايضا، حقيقة البوسنة

شاهد على مأساة البوسنة

دولة وكرواتيا دولة اخرى، لذلك يمكن لحزبنا ان يتصرف بحرية وفقا لرؤيته الخاصة واوضاعه في كرواتيا، بما لا يعني انفسنا عن الحزب الام في سراييفو في اطار العقيدة الواحدة التي تربط بعضنا البعض.

● بحسابات القوة العسكرية، هل تكفي القوة الذاتية للبوسنة في مواجهة احد افضل الجيوش الاوروبية؟

● يصعب الاجابة باختصار على هذا السؤال، ويمكن تفصيل الاجابة من خلال المدى الزمني. إذ انه بدون تأثير ودعم متوازن من الاسرة الدولية، يصعب علينا جدا الاستمرار في رد العدوان، على المدى البعيد سنتنصر يقيناً بمدد من الله.

● ثار مؤخراً كلام عن اليهود البوسنيين بعد اندلاع الحرب؟

● انا سعيد باثارة هذا الموضوع. يبدو ان الكثيرين نسوا واقع اليهود معنا عبر التاريخ منذ طردوا من الاندلس مع المسلمين قبل خمسة قرون، اتخذ اليهود الدولة العثمانية وطننا ثانياً خاصة في البوسنة والهرسك، مثل اليهود نسبة ١٥٪ من سكان سراييفو قبل الحرب العالمية الثانية، قل عددهم بعد اندلاع الحرب، ظل عدد منهم في البوسنة والهرسك وشارك بفاعلية في المؤسسات والهيئات العامة، تغيب الاحصائيات الدقيقة عن تلك الفترة، وتشير بعض التقديرات الى تراوح عددهم بين ٢٠٠٠ و٥٠٠٠ شخص في ذلك الحين، واكبر كثافة يهودية داخل يوغوسلافيا السابقة تمركزت في البوسنة والهرسك، يمكن القول - نتيجة لذلك - انهم حققوا اندماجاً حقيقياً في المجتمع البوسني، خلال الخمسة قرون التي عاشوها معنا لم تقع اي مشاكل او سوء فهم، كما نتلقى احداث فلسطين بحماسة ظاهرة دون ان ينعكس ذلك ابداً على علاقاتنا مع الاقليات، يكفي ان نذكر - بهذا الصدد - ان سراييفو هي المدينة الوحيدة في العالم التي تضم مسجداً وكنيسة ومعبد في مساحة قدرها مائة متر مربع فقط، وفي اول مؤتمر عام لحزبنا سراييفو وجهنا الدعوة الى الحكومة الاسpanية لندرس سوياً ابعاد اليهود من الاندلس بطريقة وثائقية.

● ترى - اذن - ان الشخصية الاسلامية للبوسنة كفيلة بتكرис مبدأ التسامح مع الاديان الاخري؟

● بالطبع، فالمسلمون يشكلون اغلبية السكان، وينعكس ذلك على طبيعة المجتمع وشخصيته العامة.

● ترددت انباء عن جسر جوى (اسرائيلي) لتهجير اليهود البوسنيين!

● اقيم هذا الجسر في بداية الحرب، وخصص لتهجير بعض النساء والاطفال.

● كيف تفسر الاتفاق الذي وقعه الصربي والكروات البوسنيون في مدينة جراتس النمساوية من خلف ظهر المسلمين؟

● اخشى ان هذا ليس اوان فتح الموضوع. مع ذلك أمل ان تأتى اللحظة المناسبة التي اقدر

فيها علىتناول تلك الخطوة، عموماً فان المدخل الرئيسي لفهم اتفاق جراش، ان تحرك شعبنا منذ ثلاث سنوات بقيادة الرئيس على عزت بيجوفيتش، احدث صدمة لكل من الصرب والكرهات معاً، كلّاً ما فكر في انه قادر على تحبيط حركتنا، مابين متطرف الصرب ومتطرف الكروات شاع أمل في محو البوسنة من فوق الخريطة، بقيت البوسنة وان كانت تمرازنة حقيقة ذات طابع دموي، حصلنا على الاعتراف الدولي وعضوية الامم المتحدة، ولا توجد قوة تستطيع اعادة التاريخ مرة اخري للوراء، فنحن ندافع عن البوسنة ومستعدون دائماً للدفاع عنها.

● انت بهذا المعنى امة قديمة حديثة في آن واحد!

● ● الشعب البوسني او البوشناقى شعب قديم، وطننا يحمل اسم البوسنة والهرسك دولتنا اسمها البوسنة والهرسك تحفظن ثلاثة اديان، حين اتحدث عن ١٦٥ سنة مضت، اتذكر ان هويتنا السياسية تعرضت للتلاشي، قبل العودة اخيراً الى دولتنا المعترف بها، يمكن ان اجيب على السؤال بنعم، نحن دولة قديمة حديثة.

● تعليقك على رد فعل العالم العربي والاسلامي؟

● ● راض تماماً عنه، الامارات.. السعودية.. الكويت، وغيرها تقوم بدور نشط ضخم، دور هام جداً ومؤثر خصوصاً في مجال اعمال الاغاثة.. المركز الاسلامي في زغرب الذي يأوي اليه المهاجرون والمهتمون بقضيتنا اقيم اصلاً بمعونات الدول العربية والمسلمة، اذكر ايضاً الدور الفاعل لمنظمة المؤتمر الاسلامي في تحريك القضية، كذلك الدول التي ساندتنا وسحبت سفراها من بلجراد واعترفت بالبوسنة والهرسك مع كرواتيا، سياسياً يعد موقف العالم الاسلامي مرض جداً، ونرى ان تحرك مجلس الامن جاء في جانب منه كرد فعل لضغط الدول الاسلامية لصالحنا، بعد ذلك ننتظر تطوير الدعم والتأييد للتصدي للتدمير المنظم الذي يقوم به الصرب لسراييفو وسائر ارجاء البوسنة.

سليمان او جيلانيين

د. سليمان او جيلانيين، طبيب اسنان يفيض ثقة وحماساً لدرجة تدهش وتثير استغراب حتى بعض البوسنيين انفسهم، عمره ٢٨ عاماً.. رئيس حزب العمل الديمقراطي في السنجد، ذلك الاقليم البوسني المهدى شطرين الى صربيا والجبل الاسود، اجمالي عدد السكان نصف مليون نسمة من بينهم ٣٥٠ الف مسلم بنسبة ٧٠٪ من العدد الكلي، يمثل اقصى درجات التعامل الواقعى مع الحرب المستعرة بين الصرب وال المسلمين، مرجع الواقعية، ادراكه لأهمية فرض الامر الواقع على الارض وعلى موايد الدبلوماسية. اقاميه او بلده الصغير عاصمته «نوفي بازار»، تبلغ مساحته ٨٦٨٧ كيلومتراً مربعاً، يوجد في العاصمة وحدها ١٨ مسجداً متباعدة من ٢٨ مسجداً منذ عام ١٩١٢، حين بدأت الهيمنة الصربية تفعل مفعولها وتحاول طمس ملامح الهوية الاسلامية في طريق الابادة الدينية اقفلوا مدرستين اسلاميتين ثانوية وعليها، وهدموا الكثير من المؤسسات الاسلامية الأخرى للفاء الصفة الاسلامية عن الاقليم. د. سليمان الخامس بين ٧ اشقاء ابن لعامل بأحدى الشركات، وربة بيت. هاجر جده من مدينة متروبىتسا في كوسوفو بعد رحيل العثمانيين ومصادرة اراضيه، الى «نوفي بازار». حصل على الابتدائية من متروبىتسا وبكلالوريوس

شاهد على مأساة البوسنة

الطب من جامعة بريشتينا عاصمة كوسوفو، التحق بالدراسات العليا وانتهى من ثلاثة فصول من اطروحة الدكتوراه وجاءت حرب البوسنة واحادث السنجد لتحول دون اتمام الفصل الرابع والأخير.

رئيس حزب العمل الديمقراطي في السنجد يشغل ايضا منصب نائب رئيس الحزب في البوسنة والهرسك رئيس الجمهورية على عزت بيجوفيتش، يؤمن حتى النخاع بالبقاء في الداخل رغم كل المخاطر الضريبية والاحتمالات الاغتيال. هاجر اهل زوجته من بغداد منذ عدة قرون الى السنجد، انجبت له ثلاث بنات، صديدة، وسامرا، وبينهما صايمة التي انجبتها امها وهي صايمة في اول ايام رمضان. يقول ان اسرته كلها، والده ووالدته واشقاءه وزوجته وبناته يعيشون في الداخل. ويضيف «لن يهاجر شعبنا تحت اي ظرف ولن تحدث هجرة من السنجد مرة اخرى، و اذا حدث ذلك سأكون آخر من يهاجر، و اذا قتلنا فلنقتل في اراضينا». الدارس للتاريخ اقليم السنجد يعرف عن هذا الشعب انه مجاهد محب للجهاد والقتال دفاعا عن الدين، لذلك يجيء د. سليمان - كقيادة - ترجمة حقيقة الواقع رجل الشارع البسيط.

حول تقييمه للموقف الاوروبي والغربي عامه من قضية البوسنة والهرسك يقول: «نعرف ان اوروبا والغرب عموما يرمون الى عدم تمكين المسلمين من تكوين دولة خاصة بهم في مناطقهم، الاكثر من ذلك ان هناك نية لا يابذتهم وازالة وجودهم من يوغوسلافيا السابقة، ونعرف ان الصرب اليوم لهم دولة والكروات لهم دولة، لكن المسلمين يعانون الامر من اجل خروج مشروع دولتهم الى الواقع سليما معاف، المثير للانتباه ان الجموعة الاوروبية وغيرها تدعوا عمليا الى تقسيم البوسنة حسب الوحدات القومية لنسف اي محاولة لايجاد كيان مستقل وقوى للمسلمين».

● واختياركم في اطار هذا التحليل؟

● ليس امامنا سوى ان نحرر وتحافظ على اراضي المسلمين الثابتة لهم تاريخيا قبل اندلاع الحرب. علينا باللجوء الى القوة لنفرض حلنا القائم على الحق والشرعية، الغرب - من جهة - بعد اسقاط الشيوعية يهدف الى اضعاف المسلمين واسقاطهم، ودروس القرن العشرين والقرون الماضية تؤكد ان القوة مفتاح الحصول على الحقوق المشروعة واكتساب احترام الآخرين.

● تشترط اوروبا عدم احداث اي تغيير في الحدود الداخلية للدول كشرط للاعتراف بها، الامر الذي جرى تطبيقه في حالة الاعتراف بالبوسنة والهرسك، كيف يمكن المواجهة بين ذلك الوضع والطموحات الراiahة في السنجد حول وحدة مناطق المسلمين في يوغوسلافيا السابقة، اقصد بذلك البوسنة والهرسك والسنجد وكوسوفو؟

● امامنا خطوتان في هذا المجال:

الاولى : استقلال الوحدات الثلاث، اي البوسنة والهرسك والسنجد وكوسوفو.

الثانية: العمل الدعوب لتحقيق الوحدة وتؤسس دولة واحدة للمسلمين في المنطقة. بدأنا عملنا مبكرا في السنجد عن بقية اشقائنا، اجرينا الاستفتاء الشعبي العام قبل حوالي عام، صوت الشعب لصالح الاستقلال، لم ننشأ استكمال بقية المراحل الدستورية كي لا نظر او نسى للتجربة

البوسنية الرامية آنذاك الى اعلان الدولة المستقلة، فنحن لا نريد القيام بأى تصرف يضر بساييفو في المحاولات الدولية، يعنينا استقرار البوسنة والهرسك في المقام الاول ثم ناتي نحن في المرحلة التالية.

● يفهم من ذلك انكم تنتظرون للبوسنة والهرسك باعتبارها الدولة الأم؟

● ● بالضبط. البوسنة بالنسبة لنا هي الدولة الأم، لذا نحرص على تعزيز الاعتراف الدولي بالبوسنة من خلال ضبط حركتنا، ونفهم - في الوقت نفسه - أن الغرب لن يتمسّك او يوافق على خطوة تدعم مصالح المسلمين، بين الطموح والواقع نكافح للبقاء على البوسنة ضمن حدودها المعترف بها دولياً كجمهورية مستقلة ذات سيادة دون ان تحملها عبء حركتنا سواء في السنجد او كوسوفو.

● تقدم كوسوفو نفسها للعالم بطرح قومي علماني، الا يتعارض ذلك مع ما تذهب إليه من طرح إسلامي؟

● ● فكرة اقامة الوحدة بيننا قائمة وسنحققها باذن الله تعالى، لكنى أؤكد مرة أخرى ان الغرب يبذل قصارى جهده لمنعها، لذلك اخواتنا في كوسوفو يدعون لتأسيس دولة قومية علمانية خاصة بهم، يدركون تماماً ان هذا التناول يفتح الطريق أمام تأييد غربي لطالبيهم، نحن في السنجد طالبنا منذ اليوم الاول باقامة دولة إسلامية، لم نلق اي تأييد من الغرب، على العكس منا، تجد البوسنة وكوسوفو موافقة مبدئية من الغرب لأنهما قدمنا أنفسهما على ارضية علمانية، الشعب الكوسوفي توجد لديه رغبة عميقه في توحيد المناطق الثلاث على أساس اسلامي، انتهى على ثقة من ذلك، هناك - اذن - فارق في التعاطي الخارجي الرسمي، والواقع الداخلي الفعلى يتزامن مع تفاؤل باقامة الدولة الاسلامية الواحدة في نهاية المطاف.

● والمطلوب من العالم الإسلامي؟

● ● على العالم الإسلامي ان يقوم بدوره مع الغرب.

● كيف ذلك؟

● ● عبر طرح السؤال الرئيسي.. هل الغرب مستعد لتأييد شعب مسلم كالسنجد ينادي بدولة مسلمة؟ هل سيسحب دعمه في حال اصرار ابناء المنطقة على تبني الاسلام نظاماً سياسياً! الموقف ستكتشف من خلال الاجابة التي ستفرز العدو من الصديق دون لبس، لو وظف العالم الإسلامي ثقله السياسي والاقتصادي معنا لامكن تحقيق الكثير.

● هكذا تقود الحوار الى مأزق، إذ كيف يمكن التوفيق بين البوسنة الثلاثية القومية والطرح الاسلامي للدولة؟

● ● لو تتبعنا موقف المجموعة الاوروبية لامكن فهم الامر على نحو افضل، فالجموعة اعترفت بالبوسنة كدولة مستقلة بشرط عدة من بينها التقسيم الى ثلاث وحدات قومية للمسلمين والكروات والصرب، لذلك يوجهون الدعوة الى على عزت بيجوفيتش لحضور اجتماعات بحث المشكلة بصفته رئيساً للمسلمين وليس رئيساً لجمهوريّة البوسنيّة، الغرب يريد ضرب

شاهد على مأساة البوسنة

ال المسلمين وازالة وجودهم من المنطقة عبر التوقيع على قرار التقسيم لو لم تستقل البوسنة - فعلياً -
كدولة قوية ذات اغلبية مسلمة تمثل الخاصية الطبيعية لسلمي شبه جزيرة البلقان، لضاع هؤلاء
ال المسلمين، لهذا ارى ان اى سياسي لا يملك الحق في التوقيع على قرار التقسيم، وحتى مع التوقيع،
يظل اى اتفاق غير شرعي لانه ضد رغبة عموم المسلمين بالجمهورية.

● يرى البعض ويتحسّس ملامح المحنّة وسط الاجواء التي تعيشونها؟

● حالتنا هذا ابتلاء من الله عز وجل، كما هو تكريم منه جل شأنه، لقد اخطرنا الطرف الحال
إلى التحرك لنقرر مصيرنا والتعامل مع الاحداث بواقعية تأخذ بعين الاعتبار ما يحدث فعلاً على
الارض، وليس ما يتمناه لنا الآخرون، علينا بالقتال والمحافظة على وجود المسلمين وحياتهم بالقوة،
لابد من الجهاد للابقاء على المسلمين احياء بمواجهة دنس عدوان الصربي والجبل الاسود
(مونتينيغرو)، اذا امكننا تحقيق ذلك، فالمستقبل يحتمل - إن شاء الله - توحيد المسلمين بدون
حرب بالاستفادة من المصالح الاقتصادية التي اثبتت تجربة العالم اليوم جدواها كعامل توحيد،
لو حافظنا على كياننا وقوتنا وطورنا قدراتنا ووثقنا علاقاتنا بالعالم الاسلامي، سيتم تقاربنا معه
بشكل طبيعي جداً دون اى مشكلة، وبمقورنا تحقيق طفرة في علاقاتنا مع العالم الاسلامي، ربما
بعد اشهر قليلة من إعادة ترتيب البيت من الداخل عقب رد العدوان.

● مذابح البوسنة التي يرتكبها الصربي قابلة للتكرار عندكم؟

● المذبحة التي وقعت وتقع في البوسنة لن تحدث ابداً في السنّجق إن شاء الله، نعم نحن
محظون من قبل القوات الصربية التي يصل قوامها إلى حوالي ٢٠ ألف فرد مزودين بأحدث
الاسلحة الثقيلة فضلاً عن سلاح الطيران، أؤكد للجميع انه لو اندلع القتال في السنّجق، فلن
يستمر اكثر من ٤٨ ساعة، شعب السنّجق لن يسمح ابداً بذبحه وقتله، هذا مستحيل.

● لكن السنّجق شعب اعزل من السلاح؟

● ببساطة، ستتبع الاسباب ونرتّب انفسنا لواجهة المعركة، مجرد سؤال عن احتمال وقوع
مذبحة عندنا على يد الصربي يجرحني ويزعجني جداً، أنا لا اعترف بذلك، فالذبحة يجب الا تقع في
صفوف المسلمين، الذي يسمح للأخر بأن يذبحه، لم يقاتل ولم يجاهد، ينقصه الإيمان القوي،
أؤكد - من جديد - ان شعبنا لن يسمح بذلك ابداً، يمكن للصربي ان يدمروا قرانا بقصفها من البعد
باستخدام السلاح الثقيل، أما ان يأتوا ويزبّحوا المسلمين، فذلك أمر غير ممكن.

(التضارعات والصدامات)

المفصل التاريخي الحاسم الذي تمر به جمهورية البوسنة والهرسك مليء بالتقاطعات
والصدامات التي جلبت عليها عبر مئات السنين معاناة شديدة اعلاها الابادة الجماعية وادنها
مصادر الحرية الشخصية، ويحتم الواقع علينا النظر الى العدوان الصربي على سراييفو وسائر
الدن البوسنيّة مراعاة ذلك السياق التاريخي الذي يشهد بما لا يدع مجالاً للشك ان اعتناق شعب
هذا البلد افرز تبايناً ومقارنة وصراعاً مستمراً مع الجيران سواء في بلغراد او في زغرب، كثيراً ما
التفت العاصمتان دفعة واحدة على مبدأ العدوان باتجاه سراييفو، واحياناً ما تفترقان مثلاً هو

الحال اليوم ● في كل الأحوال تبقى سراييفو طرفاً يتلقى السهام من غريمين أحياناً أو غريم واحد أحياناً أخرى. سراييفو الجريحة يعرفها البلقان بأنها ألم رمز عثماني أو روسي متقد بعد انهيار الخلافة العثمانية، يعرفها البلقان أيضاً ألم رمز بمساجدها وأئمتها ومدارسها وكذلك بروحها وهويتها. لذلك تعتبر أدبيات الدولة المطلة على البلقان ومن بينها صربيا، كلمة تركي مرادفاً لسلم ومسلم مرادفاً لتركي.

● أعلن القائد الانفصالي الكرواتي البوسني مات بوبان قيام دولة كرواتية جنوب غرب البوسنة والهرسك في الثالث من يوليو ١٩٩٢ وذلك طبقاً لخبر بنته إذاعة سراييفو.

الجحيم الذي تتصلب حمه كل يوم على سراييفو وعلى بقية أجزاء الجمهورية يحمل في طياته عداء لهذا التاريخ وتلك الهوية المطلوب القضاء عليها أو على الأقل الإبقاء عليها بدون روح. وبالتالي تصبح المصادر بقوة السلاح عقيدة صربية مشروعة يمكن معها فهم طريقة المعالجة لذلك السعار المتطلق من فوهات مواسير دفاع رابع أقوى جيش في أوروبا، ومقاومة قوامها قوات الشرطة البوسنية ذات التسلیح الخفیف.. جداً.

البوسنة والهرسك تعيش حالة سياسية وعسكرية تستدعي اجراء عملية فصل وتمييز لعنابر الازمة لتحول عند الرؤية المستحکمة الى صورة واضحة يقل فيها الغموض الى حد كبير. الحرب التي تشنها صربيا بقيادة الرئيس سلوبودان ميلوسوفيتش توصف بالجنون. وهي كذلك من حيث الحجم والكيفية، في ظل عزوف اوروبي دولي يكتمل معه الهدف الرئيسي وهو تحجيم انتفاث شعب يبحث عن هويته ليعود للجذور على عكس تجربة اخري قريبة جداً. تجربة البانيا التي رفعت الاعلام الغربية مع سقوط الشيوعية، ذوى القذائف ونيران العراق ودخان القصف يجب الا يصرفنا عن النظر الى البعيد.. الى ما بعد المعارك. مستقبل البوسنة والهرسك التي تتمتع بمعزلاً اعد لتقديم بديل حضاري في قلب اوروبا. لكن بعض المحليين ينظرون بعيداً الى آسيا حيث تجربة افغانستان في ظل سيادة المجاهدين. يرى هؤلاء ان التركيبة العرقية يمكن ان تدمير مشرقاً وخدرياً يحل به البعض وقوامه كرسوفو والسنڌق والبوسنة. اضافة الى ذلك اي مصير ينتظر الجمهورية المستقلة التي عمدت الحرب الى تحطيم بنيتها الاساسية. الواقع الاقتصادي المتردى سيفتح بطبعية الحال بباب المساعدات المشروطة الكفيلة بخنق المشروع الذي تحلم به قيادة واعية لشعب يمثل المسلمين فيه اغلبية نسبية وليس مطلقة.



* آرمين بوهارا

كل هذه التصورات لا يمكن استيعاب مضامينها الا عبر المواجهة البوسنية - الصربية. لذلك جاء الاختيار بالترجمة الى جبهة الحرب حيث قفت بجولة ميدانية في مدينة بوسانسي بروء الحررة. الرحلة بدأت من المركز الاسلامي في زغرب، سيارة مدنية يقودها آرمين بوهارا. صحفي.. رسام.. شاعر

● أعلن القائد الانفصالي الكرواتي البوسني مات بوبان قيام دولة كرواتية جنوب غرب البوسنة والهرسك في الثالث من يوليو ١٩٩٢ وذلك طبقاً لخبر بنته إذاعة سراييفو.

شاهد على مأساة البوسنة

ومقاتل يرتدي بزة عسكرية وحذاء رياضيا. لا يحمل اي رتب شأن كافة المقاتلين المسلمين والكردات. خجول.. قليل الكلام الى حد يثير الضجر. ودود شديد الادب وايضا نائب قائد جبهة بوسانسكي برود. تتوقف السيارة بعد نحو ثلث ساعات لتحتسي الشاي في مقهي على الطريق. تستأنف الرحلة لتبدأ مظاهر الحرب على مدى حوالي ساعة ونصف واضحة للعيان. الحواجز الامنية للشرطة والجيش الكرواتي. كان على المقاتل البوسني بوهارى ان يبرز تصريح المرور كل مرة مع سماع بعض الارشادات الجديدة احيانا وتحويل الطريق الى طريق اخر فرعية احيانا اخرى. لم يعد بإمكان المرافق الثاني المقاتل سليمان سالشينوفتش ان يضع شريط الالاناشيد البوسنية الاسلامية في مسجل السيارة. الوقت ازف واصبحنا على بعد دقائق من المدينة التي شهدت معارك خاربة انسحب على اثرها الصرب. آخر الحدود الكرواتية تحتضنها مدينة سلافونسكى برود التي تفصلها عن بوسانسكي برود كوبرى «برستستقا ياديتستقا». هذا الكوبرى هو الوحيد الذى يربط الان بين البوسنة وكرواتيا. من مفارقات القدر ان اسمه يعني «الاخوة والاتحاد» اخوة واتحاد شعوب يوغوسلافيا التى قضى جوزيف بروز تيتو معظم حياته ليتحولا الى واقع سرعان ما تلاشى كالدخان بعد وفاته بسنوات قليلة.

نوع كرواتيا بعد منتصف الكوبرى. يهدىء بوهارا من سرعة السيارة ويسير الى أشار قصف جوى لارض الكوبرى في محاولة صربية لتحطيم آخر معبر بين الجمهوريتين. ابرز المذابح التي عرفتها المدينة قبل التحرير وقعت في قرية جورانيا كوليبا وتبعها حوالى ١٠ كيلومترات عن بوسانسكي برود راح ضحيتها ١٦ مسلما منهم ٤ كروات. عندما اندلعت المارك اثبت المسلمين مهارة قتالية عالية وصلابة حقيقة تخطت نتائجها واقعهم كاذبة سببها ١٥٪ فيما يشكل الكروات ٤٪. الوجود الاسلامي القتالي واثره في المارك يمثل نحو ٥٪ من المجهود الحربي. القرى هنا لا تعرف اندماجا حقيقيا. وهذه قرية مسلمة وتلك كرواتية.. وهكذا على طول الطريق. قرية «كرياتشا» كرواتية شهدت يوم المعركة الخامسة واقعة يرويها قائدتها الكرواتي الذي يؤكد ان المسلمين تقدموا الى صفوف الكروات الذين تمكنا بواسطة هذه المساعدة من طرد الصرب.

خطوات قليلة

في مدخل المدينة هبطنا من السيارة. خطوات قليلة وتطلق الدفعية الصربيه قذيفتين سقطتا على مسافة غير بعيدة. اخذنا المرافقون على عجل الى داخل احد المطاعم القليلة التي لا تزال تعمل في مدينة خارجة لتوها من تحت يد بجراد. شعور المرافقين بمعنى سقوط قذيفة.. احساسهم بحكايات الموت اليومية التي يرونها رأى العين يجعلهم اكثر استجابة للحدث من الضيف الذي لم تصبح الحرب جزءا معتادا من حياته اليومية. ست ساعات هي عمر الجولة سقطت خلالها عشر قذائف. أكدت المصادر العسكرية البوسنية لاحقا ان القصف كان مقصودا ذاته، لأن الصرب يعمدون الى مهاجمة اي شخص غريب يدخل الجبهة من اجل احكام عملية الحصار والتعتيم الاعلامي وعزل البوسنة عن العالم الخارجي. داخل المطعم الذي يتحول الى ملجا وقت القصف التقى بيكر فيرشا يحمل وجهه قسمات العسكري المنضبط. تماما كما رفique بوهارا. قليل الكلام.. هادئ.. ابتسامة خجولة.. ادب جم.. يتكلم الانجليزية بطلاقه على غير عادة الشعوب

اليوغوسلافية «سابقا». في البدء لم اكتشف جيدا ملامحه مع الوقت اعتدت حالة ما بين ضوء الشمس والعتمة. تبادلنا الحديث على غير موعد. اكتشفت قليلا وعلى عجل قصته التي تحمل اكثرا من معنى... يكر من كوسوفو التي كانت تتبع الى وقت قليل «قبل الانتخابات الرئاسية والبرلمانية» جمهورية صربيا. ابتعته بجراد في دورة تدريبية عسكرية بهولندا. قطع البعثة وانضم الى ابناء البوسنة في جهاد مشروع. يرجع اشتعال الحرب في كوسوفو واقليم السنجق بمواجهة الصرب.

الضابط الكوسوفوي كافر بصربيا مؤمن بجهاد البوسنة يتحدث بخجل شديد عما تم انجازه في الجبهة. انسحب الصرب وخلفوا وراءهم الكثير من الاسلحة الثقيلة. لكنه يشكى من الشكوى من قلة ما لدى المقاتلين من سلاح ثقيل عموما. فالغناائم لاتفي بحجم الارض المكتسبة يوما بعد يوم فتعجز عن سداد الاحتياجات الميدانية. هذا هو كل مطلبه! اسئلته عن قوة المراس التي يذكرونها عن الميليشيات الصربية «التشتنيك». يفاجئني بالاجابة «نحن وهم كما الفلسطيني واليهودي. نحن اصحاب قضية وهم بلا قضية. هذه هي الخلاصة. يقفز فوق الاجابة.. يذهلني قوله «البوسني والفلسطيني يحاربان باسم الله. انا هنا في الجبهة البوسنية وفلسطين في قلبي. اعزتم القتال ضد اسرائيل» فور انتهاءي من الحرب ضد الصرب».

عودة مرة اخرى الى رفيق الرحلة نائب القائد الذى نشر له ديوانا من الشعر البوسني. يشير في الطريق الى واحد من اكبر مراكز تكثير البرول في جمهوريات يوغوسلافيا «السابقة». دمر الصرب ٢٨ مصفاة وبقيت ٤٠ بعيدة عن الدمار. يستعرض بوهارا بعض احداث الانجازات، فقد تم تحرير مدينة تقع على بعد حوالي ٣٥ كيلومترا من بوسانسكى ببرود رغم قلة العدة والعتاد. قرية سايكونفاتس ذات الاغلبية المسلمة حققت انجازا ابرز ما فيه مشاركة الاقلية الكرواتية وايضا الصربية ضد القوات الصربية. شباب القرية بعد تحريرها نقدم الى الخط الاول من الجبهة ويعكم الحصار في منطقة حول القوات الصربية. تتواصل المعارك وتقطعها احيانا احدى القذائف الصربية العشر. تدخل معاكسرا حربا خلف الصرب وراءهم وتنتقى بالقائد شارشوفيتش نيان. كان المارك حفرت قسمات وجهه الذى يطلق الابتسامة على استحياء. طوال الجلسة لم يقل سوى عبارتين: «حيث يوجد مسلم توجد البوسنة» تأكيدا على حقائق الجغرافيا والتاريخ وقرار الامم المتحدة بالاعتراف بالجمهورية المستقلة. مثله مثل بوهارا وفيوش، يتن بالشكوى من قلة السلاح الثقيل والخفيف ايضا في جبهة نوجافوتسا - على سبيل المثال — يوجد ٢٠٠٠ مقاتل و ١٠٦ كلاشنكوف فقط. هذه كانت عبارته الثانية، لأن الحرب قد تطول لسنوات وليس لاشهر قليلة. يؤمن جميع من التقى بهم بأن امامهم اختيارين «اما الحياة بكرامة او الشهادة».

نائب رئيس حزب العمل الديمقراطي «الإسلامي» بالمدينة الهندس جواد هوسجيتش يقدر احتياجات البوسنة والهرسك بمواجهة الصرب بما يتراوح بين ١٥ و ٢ مليارات دولار. في غرفة الاجتماعات بالعسكر تسود قناعة بين الحضور بأن هناك تقدما بوسنويَا يوميا على حساب الصرب في ارض المارك. يتمكنون على الله الوصول الى مشارف سراييفو ليفكوا الحصار عنها. قبل انتهاء الجلسة يتقدم مدنى بوسنويَا الى احد العسكريين يتحدث اليه همسا، فيوافقه الاخير. لذلك تمت الجلسة قليلا لستمع لاغنية بوسنوية يبدو انها من نتائج الاستقلال والجهاد وارواح الشهداء. تقول كلمات الاغنية:

شاهد على مأساة البوسنة

الله اكبر
 يقولها قلبي الان وانا حر
 يقولها قلبي الان وانا صائم
 هذه الكلمات
 يقولها مؤمن لربه الذى وهبه الحياة
 اقول لا الله الا الله وانا حر
 اقول الله اكبر وانا اصوم رمضان
 اقول لا الله الا الله وانا احتفل بالعيد
 الله اكبر
 فانا دائمًا اناجي الله
 ولا اخفي انى ابن هذا الدين
النشاط اليومي

الجولة خمت وفدا من هيئة الاعمال الخيرية بالامارات حرص على الزيارة الميدانية للتعرف على الحاجات الاغاثية والانسانية. فمدينة مثل بوسانسكي ببرود عمدت قيادتها العسكرية الى اعادة سكانها اليها والنشاط اليومى الى ارجائها. اضافة الى ذلك هناك ٢٥ الف مهاجر تستضيفهم المدينة من داخل البوسنة. يذكر لشباب الامارات رغبة حقيقة للانتقال الى الخط الاول للمعارك لم يوافق عليها العسكريون لاعتبارات امنية مفهومة. ملاحظة اخرى تتعلق بحرص بعض اعضاء الوفد على ارتداء الرزي الوطني. اللافت للنظر ان مجرد رؤية «الدشداشه والعقال» لدى البوسنيين يترك اثرا نفسيا ومعنويا لا يدركه الا من انقطع عن الاتصال بالعالم الاسلامى لعشرات السنين ليفاجأ بعد كل ذلك ان الاصول تعود اليه واين.. في جبهة الحرب؟! تتواصل الجولة خروجا من المدينة بالسيارة مرورا بطريق ضيق تنتشر على جانبي القرى المسلمة والكروتية واحيانا القرى المشتركة بين السكان المسلمين من الجانبين. يسهل التعرف على هوية القرى من خلال وجود المسجد او الكنيسة. تتوقف السيارة تتبادل التحية مع المقاتلين وتنتجه الى دبابة «تي - ٥٥» دمرها البوسنيون بجوار احدى الكنائس. الحريق الذى لف الدبابة قبل انسحاب افرادها الصرب يترك آثاره على هيكلها المتبقى بلون اسود متفحش وبقايا طلقات رشاش فارغة. حطام ورائحة دمار و المعارك طاحنة تلف نسمة ريفية بدأت تستتشق حالة سلام وقليلًا من الامان. حيثما نذهب تنتشر قوة حراسة مدججة بالسلاح حتى استانها بين الخرائب المتبقية ووسط حشائش برية لم يجد العائدون الوقت الكاف لاقلاعها. مخاوف يتحسب لها الامن المشرف على جبهة بوسانسكي ببرود من عملية تسليل صربية واختراق للدفاعات البوسنية.

الدخول الى قلب كنيسة كاثوليكية مهيبة الجناح مهمشة الاطراف يكشف لغة العرب وقاموسها القاسي. دقائق عدة بداخلها ترک كل الحقيقة اشاء الاشياء وبقايا التجهيزات ورموز مسيحية محطمة. استدير خارجا. قرب المدخل تشتكي الى ام كرواتية بزتها الاسود الشائع هنا. يشير المرافق بأنها فقدت ابنها في الحرب ضد الصرب. اتكلم معها عبر مترجم. شكوكا من قسوة الصرب جاءت بدموع لفت عينيها وسنوات عمرها التي تخطت السنتين. يخجلني واياها الصمت ولا شيء غير ذلك. يقول البوسنيون ان صربيا اطلقت اشرارا من السجون المدنية في حالة سعار بشري ليتنضموا الى صفوف جيشها المحارب في البوسنة. تجيء الافعال من جنس الفاعلين. اموال تقطيع الرقاب وهتك الاعراض والتنكيل حظى المسلمين بالنصيب الاولى من اسباب دينية تاريخية يحفظها الصرب عن ظهر قلب. من الكنيسة الى المسجد اتجه. مذنة حزينة منكسرة مبتورة الهمامة بفعل قصف صربي اطاح بقامتها، ليعود علم Bosnia يشد من ارها بعد ان رفعه المجاهدون اعلاها. محصلة الخسائر الصربية في بوسانسكى برو و القرى المحررة، استطاعت طائرات ما بين «ميغ ٢١» و «ميغ ٢٩» و تدمير ٤٦ دبابة و اسر ٥٤ دبابة بحالة سلية. تقع المدينة على مسافة ٢٢٠ كيلومترا من سراييفو، و تتمدد جبهتها بعمق ٢٨ كيلومترا توجد بعدها القوات الصربية. يتمنى القادة الميدانيون نيل شرف فك حصار العاصمة البوسنية. يؤكدون مرة اخرى الحاجة الشديدة للسلاح. ب مختلف انسواعه لتحقيق هذا الهدف الذي يرون فيه «سهل التحقيق بمواجهة جيش يفقد الامان على حد قول قائد Bosnia. يؤكدون كذلك على دور العالم الاسلامي في هذا المجال.

معركة عنيفة يذكرها الجميع تلك وقعت في قرية Duznji Kolid. قتال استمر عشرة ايام من شارع الى شارع، ومن بيت الى بيت ومن حقل الى حقل اسفر عن اقتلاع جذور القوات الصربية.. يروى احد المقاتلين بعضا من ذكريات القتال الضارى الذى شهدته الطريق السريع عند اول المدينة من ناحية الحدود الكرواتية. عشرة امتار فقط كانت تفصل بين المتحاربين. حدث ذلك فى شهر ابريل لتبدأ انهيارات الدفاعات الصربية. عند العودة اشاهد حريقا داخل احد البيوت. يندفع اللهب والسنطه وسط طبيعة يكسوها اللون الاخضر. مشهد يحمل الكثير من التناقضات. حرب وسلام، سيادة دولة ومطالب لدولة اجنبية. نزاع تاريخي بين البوسنة وصربيا.

حالة استفاضة

القرويون المحاصرون بالنسیان يهربون الى الطريق. يخرجون من البيوت بمجرد وصول اي اجنبى. حالة استفاضة مرسومة على الوجوه. يكفى ان يعرفوا في القرى المسلمة ان الزائر مسلم لتنساب بعفوية مؤثرة التعبيرات الاسلامية مثل السلام عليكم و«الله امانت» وهو تعبير Bosnian شائع عند الوداع يعني «في امان الله». المساجد هنا منتشرة تتواجد بعناد ملحوظ لقانون التعصب والجهالية. تتناثر كزمور في حدائق Bosnia. يتضاع عددتها ويترافق بمواجهة عملية خنق منظمة في صربيا للمسلمين ومساجدهم في بلجراد وحدتها تراجع عدد المساجد من ١٨٠ مسجدا خلفها

شاهد على مأساة البوسنة

العثمانيون وراءهم إلى مسجد واحد فقط. الاجتياح الصربى لقرى المسلمين ومدنهم يعني ارتکاب فظائع حقيقية داخل المساجد ومام الناس امعانا في التفسيس عن احقاد قديمة متتجدة. الاهانة المنظمة لحرمة المسجد والتزويج العاقل المدرك لبعد الفعل يشهد على ذلك. اختيار المسجد مكانا لارتكاب جرائم وايام عيد الفطر لشن الحرب على البوسنة لم يمرا على المحتلين دون فهم الرسالة الكامنة في قلب الدووان الصربى.

قبل مغادرة المدينة وبده رحلة العودة مرة اخرى على مدى اربع ساعات ونصف الساعة، تستضيفنا اسرة بوسنوية. خليط ما بين روح الاسلام وعاطفة جياشة وحالات جهل صارخة بالدين. حين يسأل عن ذلك ضيف مسلم تجئ الاجابة سريعة «نسيمونا نحو سبعين عاما. تركتمونا جزيرة معزولة في وسط اوروبى معاكس بكل ما لديه من نظم وقيم». لكن بشائر التحول واستعادة الذات تتبع من جديد حتى وسط اتون الحرب. راسم زاهر وفيفتش امام المدينة. التي تضم حوالى ٢٠٠ مسلم، يتحدث العربية الفصحى وتخرج من قسم الصحافة بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر. يحين وقت الصلاة يقودنا الى مسجد صغير يحتل الطابق الثاني لأحد الأسواق. يتقدم ابنه البالغ من العمر ست سنوات. يؤذن للصلاحة ثم يقيمه. يؤمننا الا بن. بعد الصلاة استكشف في وجهه ملامح الفخر بصغريه، اشعر انه يقدمه هدية والتفاتة الى الخمير العربي الزائر لجبهة الحرب. يؤكّد بذلك السلوك البسيط العابر ان البوسنيين شعب له جهاداته عبر تاريخ يزيد عن خمسماة عام.

يحل الليل وتبعد بعض الاضواء الخافتة التي تحجبها ستائر النواذن والاصبغ الداكنة. المرور في شوارع بوسانسكى برود ليلا يحمل مشاعر الترقب والاصرار ورغبة حقيقة في جهاد ماضي ضد صربيا حتى تقبل سيادة الدولة العائدة الى احضان تاريخها. لا تزال في الذاكرة قذيفة اطلقتها المدفعية الصربية موجهة علينا قبل ان تقادر الشمس سماء المدينة لتنتبه الجميع الى ان البوسنة ارض حرام على الغرباء. كانت القذيفة العاشرة والاخيرة واسفرت مثل غيرها عن خسائر مادية وسحب من الدخان الكثيف. تمضي عجلة الحياة والجهاد وعمليات الاختراق اليومي التي يقوم بها (الكوماندوز) البوسنيون خلف الخطوط الصربية. ونمضى نحن عاذرين الى زغرب حيث الواقع السياسي البوسني مخيّم على كل شيء في كرواتيا. في الطريق اتحسّس بعض مقتنيات الرحلة التي حملتها معى. طلقات فارغة. بطاقة عمالية تابعة للحزب الشيوعي اليوغوسلاف ملقة باهمال على ارض الجبهة في اشارة باللغة لمرحلة جديدة من تاريخ البوسنة والهرسك التي ادارت ظهرها اخيرا لنظام حاصل بشكل متعرّض هويتها وتاريخها. ايضا اقلب سترة ميدانية لمقاتل صربى لا يعلم احد ان كان عاد سالما ام قتل في الجبهة. تختلط بيقايا من تراب وليل اصحابها من ارض المخا الذى اواه زمنا قبل ان يأتي ضيف مثل ليحيقظ بها. رحلة العودة كانت فرصة طيبة لاسترجع وجوها بوسنوية تشارك في المعارك كل على طريقته.

زهدى عادلوفيتش. طالب في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. يستهل كلامه مع العرب عادة بأنه من اصل مصرى جاء اجداده منذ اكثر من ٣٠٠ سنة من مدينة طنطا ليحاربوا مع الجيش العثماني في اوروبا ثم استقروا في بلغاريا ومنها نزحوا الى البوسنة. لم تنسى الحرب ولم تفقد

المأساة بعد الطرائف القاهرية، حيث أمضى عاماً في العاصمة المصرية يتعلم العربية في جامعة الأزهر. عثر هو وزملاؤه على شقة في الزمالك، لكن ذلك لم يمنعه من الاتجاه إلى الأحياء الشعبية المجاورة مثل الكيت كات وامبابة لشراء الطعام بأسعار رخيصة. يروى في ضاحكا التعليق الذي اعتاد الباعة ترديده له عندما يعلمون بحكاية السكن والطعام.. «يعنى تسكنوا في الغالي وتتكلوا بالرخيص». دقائق قليلة يخرج بها من أجواء الحرب، يستعيد الواقع سريعاً ويقول بعربية فصحى يتقنها ربما بأفضل من راسم زاهر وفيتش «ليس أمامنا خيار سوى الجهاد. الحلول الإسلامية ستتحقق للصرب أطماعهم في بلادنا».

مثقفون وأخرون

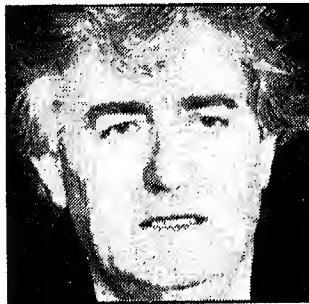
يندر رؤية شاب بوسنوي خارج الجبهة. وجوده في كرواتيا الغير مهمة، مدعماً للخجل لأنّه يستوّى في ذلك مع الأطفال والنساء والكهول. شباب كثيرون مهاجرون في أوروبا عادوا للوطن عند اندلاع المارك. عمال.. مثقفون وأخرون أحد العمال البسطاء أحضر معه حوالي ٤٠ ألف مارك كل حصيلة الغربة والعمل في المانيا ووضعها تحت تصرف قيادة بلاده. تموزج من نماذج أخرى كثيرة، مصطفى بشيروفيتش يتولى مهمة نقل السلاح إلى الداخل. سيارة محملة بالقذائف والذخائر باشكالها وقطع السلاح بآجامها المتنوعة بسيارة محملة بالموت عبر طريق يمر باحتمالات الموت في أي لحظة!! عن كوسوفو التي تضم ٢,٢ نسمة من بينهم ٩٥٪ مسلمون يقول: «الف قناص صربي في العاصمة بريشتينا وحدها. الإسلام مطلوب رأسه على الذبح الصربي، هكذا يقول بتأثر شديد.

يواصل مصطفى متحدثاً بتأثر ياد عن مردود زيارة الوفود الشعبية العربية: «ترفع معنوّيات الجميع. نشعر إننا ننساً وحدنا». يؤكّد كالآلاف غيره «نحن بحاجة للسلاح».. يقدم لنا أسرته المكونة من الزوجة وأبناء. يتقدّم الطفل الصغير هنا على استحياء، يكلمه أبوه بلغته البوسنية، فيردد الصغير «السلام عليكم» زهدى ماكيتش التقيّة في سبليل المدينة الساحلية الكرواتية يحمل معه عبق الجبهة المعطر. قادم لتوه من جبهة مدینتى ترافيك وياتشا. مكث ومجاهدون ثلاثة داخل أحد الخنادق ستة أيام كاملة تحت المطر. تموينهم اليومي رغيف خبز واحد. جاء إلى «مرحمة» الهلال الأحمر البوسني ليحصل على برميل نفط وبعض الغذاء.. نقص في السلاح والنفط والغذاء، غير أن هذه الروح يصعب ان ينال منها اهمال الاشقاء والاصدقاء لهم.

محمد بن عمر شاب آخر عاد من المانيا. يرتدي الزي البوسني الشعبي. أتي ليقاتل وينتظم في أحدى الكتائب وتحقيق حلمه دفاعاً عن الدين الذي يراد اجتناثه من فوق الأرض البوسنية بشهادته صمت دولية تزينها بعض القرارات وصيغات الاستئثار. الوضع العسكري يشير إلى تفوق أعداد المقاتلين على السلاح المتواaffer. يحدث أحياناً أن تأتي مجموعة من الشباب إلى مراكز الاتصال البوسنية في كرواتيا للحصول على السلاح والانخراط في صفوف المقاتلين، فيتم الاعتذار لهم نظراً لندرة السلاح. قيادات بوسنية عديدة تبدى غضبها لهذا الحال. لكن الأكثر ايلاماً هو التخطيط السائد في الجبهة نظراً لافتقار عنصر التنسيق اللازم ونظرة الدفاع الضيقة عن كل وحدة على حدة دون التحول إلى الدفاع الشامل الذي يأخذ بعين الاعتبار مجمل العوامل الجغرافية والبشرية.

شاهد على مأساة البوسنة

يشير المراقبون الى تقطع اوصال القوات البوسنية التي تم تشكيلها على نحو عشوائى تحت دوى القنابل الصربية، تفتقر هذه القوات الى رؤية محترفة شاملة تلفها جميعاً في نسق واحد يتعذر بخطط استراتيجية وخطوط توسيع منتظمة. ادى تفوق كل وحدة مقاومة على نفسها الى سهولة سريان الصرب في اوصال الجسد البوسني وحصار العديد من المدن مثل العاصمه سراييفو وتوزلا وروجاتيكا. كما مكن هذا الوضع فضلاً عن توافر احتياطي ضخم من الذخائر ومصانع منتجة داخل صربيا الى انفراد الصرب - غالباً - بعنصر المبادرة عبر القصف المنظم مثلاً يحدث مع مدن كونجيك ومدستار وفوتشا وجورازدي ومودريكا وبوسانسكى ساماك وبوسانسكى بروز. اما قائمة المدن المحتملة فتضمن فيما تضم سانسكى موست وفيسبوراد وسربرينسكا وفلاسنيكا وبراتوناك وزفورنيك. الاحصائيات الرسمية • تدل ان المسلمين يشكلون نسبة ٤٣٪ والصرب ٥٪ والکروات ١٧٪. بعض التقديرات ترتفع بنسبة المسلمين الى ما يزيد عن ٥٠٪. حرص الرئيس علي عزت بيغوفيتش على علمانية الدولة كضررية لازمة الى اوروبا والولايات المتحدة من اجل الحصول على الاعتراف الذى اعتمدته المجتمع الدولى لاحقاً وتم قبول البوسنة مع كرواتيا وسلوفينيا اعضاء في منظمة الامم المتحدة في مايو الماضى. التزيف الداير على اراضى البوسنة والهرسك يستهلك ٦٠ مليون دولار هى قيمة الخسائر اليومية، ويقدر الاجمالى في آخر احصائية بوسنية منشورة بثمانية مليارات دولار. **رادوفان كاراجيتش**



* رادوفان كاراجيتش

زعيم الحزب الديمقراطي الصربى في البوسنة هو الوجه القبيح في الجمهورية المستقلة. حسان طروادة الذي يخلف خلفه الرئيس الصربى سلوبودان ميلوسيفيتش. الاخير ينفض يده في مسرحية هزلية من الاحداث زاعماً ان بلجراد لا تحكم في تحرك الصرب البوسنيين. تماماً مثلاً فعلت عندما سحب قواتها تاركة العسكريين الصرب البوسنيين يعيشون في البوسنة فساداً باعتبار انهم من ابناء الجمهورية. رادوفان - وفقاً لحساب في زغرب - تلقى تدريباته على يد «المرساد» الاسرائيلي.

يتولى قيادة الميليشيات الصربية «التشتت». هذه التسمية أصبحت لافتة عامة تضم تحتها كل المتطرفين الصرب. تنقسم قوات العدوان الى فلول الجيش الاتحادي «الصربى» وقوات الحزب المسماة بالصقور البيضاء. مذابح اليوم خاصة في المدن الواقعة على ضفاف نهر «درينا»، امتداد لمذابح الأربعينات التي مثل فيها بال المسلمين وراح ضحيتها عشرات الالاف. في احد معسكرات اللاجئين بمدينة سبلیت يتقدم مني مسن بوسنی ويطلعني على صورة فوتوغرافية لضحايا الأربعينات، امرأتان احداهما مذبوحة من الرقبة والاخرى اقتطعت اجزاء من جسمها.

زاوية طائفية

اليوم يعلو صوت رادوفان وكان زعيم يتكلم باسم الجمهورية من زاوية طائفية محدثاً شبه ازدواجية في القيادة مع رئيس الجمهورية المنتخب. هل هذا الموقف غير القانونى له اصداء

اوروبية؟ الواقع نعم، فقد تمت دعوة بيجوفيتش الى الاجتماع لشبونة قبل احكام الحصار حول سراييفو من قبل المجموعة الاوروبية. نصت الدعوة انذاك على أن بيجوفيتش يحضر الاجتماع بوصفه رئيساً لمسلمي البوسنة. لا شك ان ذلك يحمل في باطنه تشكيكاً او تحجيمها لمنصب الرئيس واسفاح المجال للقائد الصربي. كذلك مصدر تصريح عن مصدر اوروبي وقت اجتماعات لشبونة بعد بزوغ نجم الاجتياح الصربي نص على ان المفاوضات المقبلة «ستتم على اسس جديدة» استناداً الى سياسة الامر الواقع. ماساوية الموقف تكشفه تحركات كرواتية في بعض مناطق جبهة الحرب. احدى المدن القريبة من سراييفو تتمتع بأغلبية كرواتية ضئيلة على حساب المسلمين. وسط ضجيج المعارك تم اتخاذ عدة قرارات تثير الاستياء. سحب الاعتراف من القوات المسلمة الناظامية التي تحارب كتفاً الى كتف مع الكروات، وتم فرض نوع من الهيمنة الكرواتية على ارض واقع المدينة. كل هذه التحركات صربية كانت ام كرواتية ستغير الى الحل الدبلوماسي عبر مائدة المفاوضات مستقبلاً على طريقة افتراض الناقلة «الاسرائيلية» فوق الاراضي العربية. مدينة موستر نموذج آخر، اغلبية مسلمة ضئيلة يليها الكروات في العدد. حكومة زغرب تمد الاقلية الكرواتية بالسلاح والعتاد. مجهزة بطريقة جيدة دفعتها لاحكام السيطرة على مقاليد الامور داخل المدينة ليتحول المسلمون الى تابعين لها.

المحاولات التي تمت لاحقاً اسفرت عن تأسيس لواء بوسنوي يتولى مهمة الدفاع عن مجمل اراضي البوسنة. يتمتع بحرية الحركة وفقاً لمقتضيات المعركة. يجري العمل لتشكيل لواءين اخرين ●. القيادة الكرواتية متمثلة في الرئيس فرانسيو توجمان تفتح كل الابواب ولا تغلقها. تتعاون مع المسلمين وتتوفر لهم المأوى فوق اراضيها في موقف يستحق الاشادة. في الوقت نفسه تتباين القرارات على ارض المعركة ما بين تنسيق وبين محاولة وضع اليد على اكبر مساحة ممكنة تحسباً لليوم المفاوضات. اتفاق «جراتس» الذي تم خلاله اعلان نوع من التعاون بين الصرب والكردات البوسنويين تم بضوء اخضر من توجمان ●●. هذا الاتفاق اسقط فيما بعد بفعل المعارضة الشعبية التي اكتوت بنار الحقد الصربي وشهدت على عمق التسامح الذي كرسه البوسنة عبر تاريخها.

ترجمان الرئيس الكرواتي يعاني من اقتصاد منهك ونحو مليون مهاجر كرواتي وبوسنوي. لكن الاكثر صعوبة هو معاناته السياسية. اغلبية ظاهرة في الشارع تراه زعيماً شيوعاً من بقایا نظام تيتا، تجاوزته المرحلة الحالية. اكثر من حوار مع رجل الشارع في زغرب يؤكّد هذه الرؤية. في الوقت ذاته يتفق الجميع على تأجيل المواجهة مع توجمان الى حين انتهاء الحرب مع صربيا التي تحتل ثلث اراضي كرواتيا. زيارة مجاملة سريعة قمت بها الى فيينا شكارنة المتهدلة الرسمية في رئاسة الجمهورية «بيفيلا زغريا» تكشف ان شيئاً من التغيير طرأ على الرئيس ولو على مستوى المظهر. لايزال التمثال النصفى للزعيم اليوغوسлавى الكرواتى تيتا موجوداً في الطابق الاول. ربما وفاء لذكرى الرجل الذى اعتاد النزول في هذا القمر عند زيارته زغرب. حشائش الحدائق الشاسعة

● تصريح من الشيخ شوقي عمر باشا رئيس لجنة الطوارئ لمساعدة البوسنة والهرسك

●● هكذا ترى انطونيا كوكوت رئيسة الحزب الديمقراطي للمعارض في مدينة فراجدين بكراتيا

شاهد على مأساة البوسنة

المحيطة بالقصر ما زالت تنمو بغير انتظام منذ ان رأيتها في المرة السابقة ● . يبدو ان الرئيس وادارة القصر ادرکوا تلك الهفوة فانتشرت مجموعة من الرجال والنساء لتشذيب الحداقة ولتعيد الى خارج القصر رونقه الاخضر المنتظم.

احدث النكات ضد الرئيس اطلقها طالب جامعي معارض لسياسات توجمان حينما تهكم بقوله ان زغرب باتت مهددة مرة اخرى بالطائرات المعادية . يستذكر المستمع لان بلجراد لم تفعلها منذ مهاجمتها المقر الرئاسي الاصل في قلب العاصمة . يعود الطالب معلقاً بسخرية «هذه المرة ستكون طائرة الرئيس». فقد تم شراء طائرة خاصة بالرئاسة مؤخرا . التصرف عادي في كل بلاد العالم الا كرواتيا التي يرى شعبها ان التضخم والبطالة لا يسمحان بمثل هذا «الترف». موظفة باحدى شركات الطيران تدين النظام بطريقة غير مباشرة تقول: «يهربون كل يوم للامام كل المشاكل وحلولها مؤجلة باسم الحرب» نحاف من مرحلة ما بعد الحرب. ترى ان بلدها يساهم في استمرار الحرب. تقول «كل حرب لا تشتعل الا بطرفين». هذه حقيقة لكن ينقصها الاجابة عن سؤال «من العتدي؟!»

مؤسسة الرئاسة

الازمة في البوسنة تحمل طابعا اخر. حملة شديدة يشنها البعض على عدم التحسب لاندلاع الحرب. يفترض هذا البعض ان الرهان على السلام والحل الدبلوماسي لا يعني ابدا اغفال الجانب العسكري. مؤسسة الرئاسة تعتبران التركيبة القومية الطائفية المعقّدة حالت دون عسكرة الجمهورية على المستوى الرسمي لأن هذه الخطوة في حينها لم تكن لتفسح المجال امام الخيار дипломاسي، فضلا عن تعجيلها بالصدام المسلح. الملاحظ ان هناك اجماعا شعبيا على شخص علي عزت بيجوفيتش بتاريخ حافل وثمانية اعوام في سجون الحكم الشيوعي اثناء وبعد رئاسة تি�تو. المرة الاولى بين عامي ١٩٤٦ / ١٩٤٩، والثانية بين عامي ١٩٨٩ و١٩٩٢. الرئيس الوحيد الذي عرض خصمه وهم في السلطة وتأديب معهم بعد رحيلهم، يذكر البوسنيون ان رئيس صربيا وكرواتيا كانوا من عمد الحكم السابق وسرعان ما هاجماه بعد رحيله. احد العاملين بسفارة زغرب يدافع عن الرئيس توجمان - في هذا المجال بقوله «هل تلام الزوجة على اتباع زوجها!».

التيار السياسي البوسني تتنازعه ثلاثة اتجاهات. اتجاه يطالب بضرورة الرهان الكامل على العالم الاسلامي. الثاني يدعو الى استبعاد ذلك الخيار في الوقت الراهن تحسبا للعامل الامريكي - الاوروبي الذي يضع علامه استفهم وربما استنكار امام التواصل مع العالم الاسلامي. الاتجاه الثالث يشير الى ادراك الغرب لحقيقة مشاعر الشارع البوسني. وان استبعاد العالم الاسلامي تحت تأثير معنوي غربي غير منظور هو هدف يتحقق لصالح هذا الغرب. يؤكّد ذلك الاتجاه ان لامجال للمناورة والابتعاد عن الحاضنة التاريخية الاسلامية، وان الغرب لن يرضي في كل الاحوال الا بكسر اضلاع الحلم البوسني الاسلامي. الفريقان الاول والثالث يكادان يتطابقان الا في بعض التفاصيل. صحفى المانى متبع للحرب وزار العاصمة يقول ان الدمار الذى لحق بسراييفو يفوق ما شهدته برلين في نهاية الحرب العالمية الثانية على يد الحلفاء. مصادر بوسنية تعزو القصف

المركز للجيش الصربى الى محاولة تركيع القيادة البوسنية والتوقیع على قرار الاستسلام فتنهار المقاومة في كل اتجاه الجمهورية. تدرك بجراد ومعها رادوفان كاراجيتش ان سراييفو بمثابة المخ من الجسم البوسني المسلم. لذلك يصررون على التحدى الرامى الى اسقاط الجسم عبر المخ الذى يقاتل دفاعا عن وسط ظروف غایة فى الصعوبة.

المطلوب - في حال عدم الاستسلام - تحقيق حالة اللاحرب واللاسلم مع هيمنة صربية لفالبىة اراضى البوسنة. هذا السيناريو يعد مكسبا حقيقيا للجراد الذى تراهن على عنصر الزمن. رغم قرار الحظر الدولى، فصربيا تدرك تماما انها ليست العراق وان البوسنة ليست الكويت. لذلك تواصل وتستمر استنادا لخطة الامم المتحدة والتعامل مع الفرقاء تعامل الانداد المتساوين مما يسقط اهم الاوراق من ايدى الرئاسة الشرعية البوسنية. قراءة سريعة لبعض التصريحات الغربية تظهر نفحة تقوم على «نزع سلاح الجميع» و«ادانة جميع الالايات» واستنكار دور القادة في تصعيد الحرب» ووضع الجميع بالتالي في سلة واحدة. الحرب التي قد تطول لسنوات وسنوات لا يحسمنها وفقا لاحد المصادر، سوى الانجاز على الارض في ظل ضعف احتلالات تدخل غربي عسكري وفتور اوروبي - امريكي بهذا الصدد. هذا الفتور «يؤشر السلامة في تأثر تنضج معه الوليمة عوضا عن ندامة في سرعة قد تتصف الجانب البوسني ومشروعه الاسلامي المحتمل رغم شعار علمانية الدولة «الرئيس بوش خرج مؤخرا بتصریح مفاده ان القوات الامريكية «لن تحول الى شرطة العالم». مؤكدا ان هذه الكلمات الحاسمة قد وصلت الى اذان المسؤولين البوسنيين رغم الرحلات المتواصلة التي قام بها في الخارج وزير الخارجية حارس سيلاجيتش داعيا خلالها الى ضرورة التدخل العسكري الامريكي لوضع حد للعدوان الصربى.

الداخل البوسني يشهد وقفة شريفة من جزء لا يستهان به من الشارع الصربى الى جانب الشرعية. بعض الصرب خرجوا بالفعل ضمن مظاهرات في سراييفو معاذية للعدوان الصربى. في نفس الوقت يؤكّد الرئيس بيوفيتش انه «ضد التقسيم القومي الذي لا يمكن ان يكون حلّا ناجحاً ودائماً لشكلة البوسنة». وفي هجوم مضاد من جانبه ضد سياسة الامر الواقع التي بدأ يستشرف ملامحها في تصريحات اوروبية قال ان «تغييرات كبيرة حدثت في الشهرين الماضيين في البوسنة، وعلى المجموعة الاوروبية ان تأخذها في الاعتبار خلال اي محادثات قائمة بين الاطراف المعنية». ازمة البوسنة تؤكد من جديد ان مائدة المفاوضات تعكس ترجمة امنية وصادقة لقدرات كل فريق. والشرعية البوسنية تدرك ان طرد «التشتت» وقوات بجراد هدف اساسى، ان لم يتحقق قبل ان تفرض الامم المتحدة وضع اللا غالب والا مغلوب فإن اشياء كثيرة ستذهب مع رياح التاريخ من بينها مشروع الدولة البوسنية ذاتها بحيث لا يبقى منه سوى الاسم.

شاهد على مأساة البوسنة

يصعب تصور قارة اوروبا بدون جمهورية البوسنة والهرسك في ظل التطورات السياسية والعسكرية الاخيرة وتصور قرار الاعتراف الصادر عن الامم المتحدة، لكن يظل السؤال الامم هو: اي جمهورية ستبقى وتخرج من هذا المخاض؟! الواقع تشير الى معالجة عربية واعية تهدف الى اخراج الدولة الناشئة الى حيز الواقع الدولي مفرغة من مضامونها التاريخي، اتساقاً مع ذلك تصب حالة الارتباك والعدوان السائدة في اتجاه المعالجة التي تستهدف تلبين عناصر الازمة خاصة في جانبها البوسني.

هذه الرؤية تتماشى تماماً مع منطق طبيعة الاشياء، فالاقوى والغالب يفرض دائماً معادلته، والحكمة السائدة في المدرسة الدبلوماسية الغربية تتلخص في ترك الصغار يمارسون لعبتهم بكل تجاوزاتها بما يشكل سيناريو ملائماً ويفرز عناصر صالحة لتشكيل واقع المسرح وتهيئته وفقاً لشروط هذه المدرسة.. فترة اللعب التي قد تطول او تقصر يحكمها شرط عدم تجاوز الخط الاحمر او خط المصالح الكبرى التي لا تعنى بالضرورة بكم الدماء المسالة قدر عنايتها بكم ونوع هذه المصالح، والمتابع لما يحدث على ساحة البوسنة والهرسك يدرك - وفقاً للمتابح من معلومات - ان الطرح الغربي يصطدم بالقيادة المحلية ولو على المستوى النظري، هذه القيادة تحمل في جعبتها طرحاً اسلامياً مشروعاً قادراً على استيعاب خصوصية التركيبة الطائفية باحجامها الكبيرة، والعقبة الرئيسية الاكثر بروراً في وجه المشروع بعيداً عن عداوة تاريخية مزمنة تمثل في الجغرافيا او التوادج في قلب اوروبا، العقبة الثانية هي امكانية النجاح التي تبدو في الافق، وبين الكثيرون ان قدرة النهج الاسلامي على الحكم ثابتة تاريخياً، ليس فقط في ظل اغلبية مسلمة، وإنما في ظل اقلية مسلمة مثلاً حدث في الهند، ذلك ان المشروع الاسلامي يتداخل فيه بعدان لا ينفصلان، فهو من جهة عمل روحي له جوانبه الشعائرية، ومن ناحية اخرى يمثل نظاماً سياسياً يحق له ان يحكم دون ان يلزم غير المسلمين بشعائر التعبدية، العقبة الثالثة مرجعها الى اتساع حيز تطبيق الاسلام في اكثر من موقع في عالم اليوم وخروج اتباعه من حالة الدفاع التي حشروا فيها عبر عمل شاق وطويل من الطرف الآخر اثمر نتائج ونجاحات ضخمة خلال القرن العشرين.

تأتي وجاهة سؤال «ماذا بعد سراييفو؟!» لتعيننا على محاولة استشراف ملامع المرحلة الغامضة القادمة بعد انتهاء الحصار والمعارك المفروضة على العاصمة ومن ثم مختلف انحاء البوسنة والهرسك، لقد وقع الكثيرون من المسلمين في محظور التحليل الاحدادي الصارم الذي يرى كل جزئيات الواقع ذات صبغة اسلامية، وان بينه وبين الخطورة الاخيرة مسافة سنتيمتر واحد يتثبت بها اعداء الاسلام، التجربة القريبة العهد مع المسلمين الواقعين تحت نفوذ الحكومات الشيوعية تثبت حالة الضباب الكثيف التي حجبت الرؤية الصحيحة، معادلة

الشيوعية التي تحارب الاديان ثم بوتيرة عالية اصبحت معها المعاذة اقوى من الموالاة. كان البحث حثيثاً عن مهمة مهاجمة الشيوعية، فبدا وكأنه مستهدف لذاته لتخفي في ثنائيه محاولة فهم واقع المسلمين والاستماتة في حمايتهم. اضافة الى ذلك ظهر ذلك الجهد كتيار يصب لصالح احدى القوتين وقت اشتغال الحرب الباردة وحتى انهيار العسكري الشيوعي، رغم ان الاسلاميين لم يعمدوا الى ذلك في وقت من الاوقات. دأب الاسلاميون على تصوير الموقف بعاطفة جياشة حتى تصور البعض ان ما يفصل بين مسلمي الاتحاد السوفييتي ودولة امير المؤمنين عمر بن الخطاب هو ازاحة الحكم الشيوعي. كان ذلك ابعد ما يمكن عن الواقع السياسي المعاش فعلاً. لم يكن القهر الذي جاوز كل حد كافياً ليتحقق ذلك الامل المنشود. لم ينتبه احد - بشكل موسع - الى دراسة الواقع بطريقة موضوعية لمعرفة امكانية العودة الى المشروع الاسلامي كاملاً متكاملًا.

مرحلة ما بعد سقوط الشيوعية شهدت حالة استرخاء نفسي وسط صفوف الاسلاميين وهم يشاهدون نظماً علمانية بديلة ترفع شارات بل واعلام دول اجنبية. يحدث ذلك في البانيا ذات الاغلبية المسلمة الساحقة. التساؤل المثير الذي يثير حفيظة المراقبين وهم يتبعون رد الفعل على هذه التحوّلات الكبيرة ملخصه. «اذا كان الهجوم تم بالامس من اجل المشروع الاسلامي فلماذا توقف - اذن - هذا الهجوم رغم ان معاذة المشروع لازالت قائمة وان اختفت الاساليب؟! ان الملاحظة الثانية التي لا تقل اهمية تتمثل في الركون الى العموميات دون محاولة دراسة تضاريس هذه المجتمعات على نحو يسمح بفهم المشكلة ودراسة طرق المواجهة واحتمالات المستقبل حماية للمسلمين وهويتها».

الملاحظة السابقة نجد لها سندًا في الازمة السياسية التي عصفت بأفغانستان بعد التحرير مباشرةً. اذ لم يعد من المقبول تجاوز الحقائق السائدة وصولاً الى شعارات مأمولة. فالفارق كبير وشاسع بين الامر الواقع وواقع الامر. الامر الواقع في افغانستان وفي ظل ما رأينا من احداث يشهد خريطة قومية مؤثرة يستند اليها اكثر من رمز على الساحة من اجل تعطيل الطرح الاسلامي الاصيل الذي بذلت في سبيله ارواح مئات الالوف من الافغان. نعم هناك جهاد الافغان. لكن الدراسة الامينة الواقعية، لابد وان تشير الى ظروف المجتمع ومعوقات تحقيق الهدف النهائي الذي تم باسمه خوض احد اشرف الحروب التي عرفتها الانسانية. اطلقت صفة «المجاهدين» على الكل وعلى الجميع بدون حساب. مرة اخرى كان تجاوز الحقائق السائدة وصولاً الى شعارات مأمولة احد اخطاء الرؤية التي لا تحفل الا بما تحب ان ترى.

نحن هذه المرة امام سرایيفو التي تفرض علينا تفهم الواقع البوسني بما يحول دون ان تعقد المفاجأة السنتنا مثلاً حدث ويحدث في دول اخرى. هنا توجد قيادة واعية بمواجهة رفض غربي حاسم لمشروعها، وبينهما

شاهد على مأساة البوسنة

الغلبية مسلمة ذات عاطفة جياشة وامية دينية مرعية. الى اى مدى يتمكن وعي القيادة وعاطفيه الاغلبية من تحقيق مشروع دولة المسلمين ذات الاقلیات الضخمة، في ظل فیتو يحمل اصحابه اوراق الحل والضغط؟! ولا يغيب عن الذهن ان طلب القيادة البوسنية لتدخل عسكري امريكي يردع الصرب، له ثمن ومقابل يحصل عليه القادر على تغيير العادلة بالفعل وليس بالكلام فقط. معادلة صعبة ومعقدة تحتاج الى حنكة رجل مثل الرئيس على عزت بيجوفيتش الذي يحارب على اكثر من جبهة في وقت واحد. علينا الا ننتظر منه اكثر مما يحتمل. فاغلب الدول الاسلامية باستثناء قلة منها انتظرت الضوء الاخضر الغربي اولا قبل ان تقدم على اي اجراء ضد صربيا. ما بعد سراييفو - اذن - مرحلة صارمة في اهدافها وواقها. صرامة العدوان الصربي الذي يفسح له المجال ضمن حسابات دولية دقيقة. فعدوان بلجراد رغم ضجيج القصف، عمل منظم مطلوب لذاته كي يتم تهشيم عظام الدولة الوليد دون سحقها، من اجل اعادة تشكيل الهيكل البديل لجمهورية البوسنة والهرسك.

ان الغرب لا يقبل بحال من الاحوال ظهور دولة اسلامية في قلب اوروبا. لذلك يسعى الى فرض معادلته القائمة على علمانية الدولة بضمانت لا تحتمل اللبس او تقسيمها نهائيا. وربما احتاج الامر الى تثبيت حالة اللاسلم والا حرب لفترة قد تطول او تقصير ريثما يمكن التعامل مع المطرح الاسلامي المتضادي. في البوسنة والهرسك يتم ذلك كله رغم مشروع اعلان مبادئ الترتيبات الدستورية الذي ينص على علمانية الدولة، لكن ذلك — على ما يبدو — غير كافٍ.

الملاحق

(اعلان المبادىء ●)

تضم البوسنة والهرسك تركيبة عرقية ودينية شديدة التشابك من بينها اغلبية ضئيلة للمسلمين باجمالي نسبته ٤٪ وفقاً للإحصاءات المعلنة. قيادة البوسنة وال المسلمين ممثلة في الرئيس علي عزت بيجوفيتش مارست قدرها هائلاً من ضبط النفس والتعامل مع الواقع العاشر دون القفز فوقه من أجل الحفاظ على وحدة أراضي الجمهورية الثابتة تاريخياً منذ أمد طويل. الخلاف الرئيسي بين المسلمين والصرب يتمثل في استماتة الطرف الأول على هذه الوحدة لأنها خياره الوحيد ومجاله الحيوي الذي لا بديل عنه. الطرف الثاني يمارس دبلوماسية الخيارات المتعددة لأن لديه جمهورية الصرب قائمة خارج الحدود لذلك يعتبر الانفصال خياراً قائماً لدى القيادة الصربية في البوسنة والهرسك. الاحتكام إلى العقل، والواقع، والسلام، ونبذ السلاح والعنف أحد ابرز ملامح فكر بيجوفيتش الزعامة التاريخية للمسلمين ورئيس الجمهورية. وهو الامر الشائع في حزب العمل الديمقراطي «حزب المسلمين». وقد توصلت قيادات الجمهوريات الثلاث إلى وضع اعلان مبادئ يضع فيها الجميع وبصياغة مشتركة تصوّرتهم لجمهورية المستقبل المستقلة ذات السيادة. فقرات الاعلان وسطوره.. فراغاته وتنوّعاته تحمل اللامع والمuhanani التالية التي لم يكتبها الموقون:

- ١ — الاقلية الصربية الضخمة التي تمثل نحو ثلث سكان الجمهورية وما تحمله من امل الابقاء على اكبر ساحة ممكنة من اراضي الجمهورية اليوغسلافية تحت العلم اليوغسلافي. يستتبع ذلك احتمالات العمل على تدمير النزعة الاستقلالية البوسنية سواء عبر البقاء عليها في الاطار اليوغسلافي وهو ما تجاوزته الاحداث، او تفريح الاستقلال البوسني من مضمونه بانتزاع الاراضي التي يسكنها الصرب والحقها بجمهورية الصرب او ما تبقى من يوغسلافيا الاتحادية.
- ٢ — جيش فيدرالي تحت مسميات مختلفة يتركز ويعتاده المتّنوع في اراض البوسنة والهرسك، الامر الذي اثر — بشكل او باخر — في حركة اقلام الواقعين على البيان تاهيك عن كثافة المداد ذاته للدرجة التي تختفي معها حروف وتظهر اخرى.
- ٣ — رعاية اوروبية شاغلها الشاغل وهاجسها الاول الحيلولة دون قيام دولة مسلمة في اوروبا تحمل في ثناياها التزاماً اسلامياً حقيقياً.
- ٤ — حلif يمثل الكروات يرتبط المسلمين بمصلحة مشتركة قوامها مواجهة الصرب او العدو المشترك. يسير هذا الحلف فقط حتى حدود مواجهة الصرب لينفك بعد ذلك مع اول منعطف.
- ٥ — انعدام الدعم الخارجي الشامل لسلمي البوسنة والهرسك بينما يتلقى الصرب والكروات دعماً اوروبياً يتنوّع مختلطة سواء على اساس العقائد الارثوذكسية والكاثوليكية التي ينتمي

● تم وضع «اعلان مبادئ الترتيبات الدستورية» والاتفاق عليه بواسطة الاحزاب الرئيسية الثلاثة للمسلمين والصرب والكروات في الثامن عشر من مارس عام ١٩٩٢.

شاهد على مأساة البوسنة

اليها كلها او من دول الجوار ذات العلاقات التاريخية الوثيقة مثل اليونان والمانيا. اضافة الى ذلك وجود الدولة الام لكل من الاقلتين فهناك جمهورية الصرب من جهة وجمهورية كرواتيا من جهة اخرى، بينما يبقى المسلمون وحدهم في الساحة.

في كل الاحوال يتبقى في النهاية الاحتلال الى اعلان المبادىء، لنقرأ اسطورة وخلفياته كما يلي:

(«أ» الاستقلال)

- ١ — البوسنة والهرسك دولة مؤلفة من ثلاث وحدات تأسيسية، تقوم على المبادىء الوطنية وتأخذ في الاعتبار المعايير الاقتصادية والجغرافية وغيرها.
- ٢ — البوسنة والهرسك تحرص على استمرار بقاء حدودها الحالية، كما انه لا حكومة البوسنة والهرسك ولا الحكومات الاعضاء الثلاث سوف تشجع او تؤيد اي مطالب بأي جزء من اراضيها من قبل دول الجوار.
- ٣ — يتمتع بالسيادة المواطنون المسلمين والصرب والكردوات ومختلف الامم والقوميات الاخرى، وهم يحققون ذلك عبر المشاركة المدنية في الوحدات التأسيسية الثلاث والاعضاء الرئيسيون الاخرون في الجمهورية.

(«ب» المبادىء العامة)

١ — البوسنة والهرسك والوحدات التأسيسية الثلاث تحكم وفقا لما يلي من مبادىء دستورية تلك التي تفهم وتطبق عامة في الدول الديمقراطية الغرب اوروبية وايضا بما يتفق مع ما تم الاتفاق بشأنه في مسودة الاتفاقية «تحت المناقة».

أ — احترام حقوق الانسان في اعلى درجاتها كما هو متصور في مسودة الاتفاقية. بالتأكيد على الملكية الخاصة واقتصاد السوق وتكون المؤسسات التجارية.

ب — الحق العام والتساوي في التصويت، واجراء الانتخابات الحرة التي تكفل سرية التصويت.

ت — حرية الانشطة السياسية والتجارية.

ث — دولة ذات نظام علماني مع حرية دينية تامة وفصل بين الكنيسة والدولة، وفصل بين سلطات الدولة، وتأكيد دور القانون والنظام الديمقراطي الفعال في مراقبة وحماية الشرعية والدستورية.

ج — مراقبة دولية وقضائية لحماية حقوق الانسان والحرية.

(«ت» مجلس النواب والدولة)

١ — مجلس النواب هو مجلس مكون من مواطنين جمهوريين الذين ينتخبون بالاقتراع المباشر ومجلس ثان مكون بالتساوي من ممثلين لوحدات الجمهورية الثلاث.

٢ — يمثل مجلس النواب مجلس المواطنين ومجلس ممثلي الوحدات، وتقوم الحكومة عبر الاجراءات التنفيذية بتنظيم مقترنات الوحدات الثلاث فيما يلي: المصرف المركزي والسياسة

النقدية — العلاقات الخارجية — الدفاع — السياسة الاقتصادية العامة — العلاقات الاقتصادية. يضاف إلى هذه، الفروع تلك التي تتدخل بين أكثر من وحدة من الوحدات الثلاث التي تشكل مجموع الجمهورية وهي: المواصلات — إمدادات الطاقة — خطوط الأنابيب وترتيبات المياه وما يستجد من أمور أخرى.

يؤخذ بأغلبية الأربعة أخmas من أجمالي أصوات مجلس ممثل الوحدات الثلاث عند مناقشة القضايا التالية: العلم — الشعار — التعليم العالي — الدين — الشئون المتعلقة بالدفاع — السياسات العريضة للاقتصاد / الأمور العامة والهامة المتعلقة بالسياسة الاقتصادية — القرارات الخاصة بالعلاقات بين البوسنة والهرسك ودول الجوار، وما يستجد من قضايا.

ملاحظة:

يتم تحديد الأمور المتعلقة حول القوات المسلحة مستقبلاً خلال المفاوضات الحالية، وهو ما لا ينطوي على القوات الحالية التي تعد قضية سيتم حلها بشكل منفصل.

٢ — يتم تشكيل قوام الخدمة المدنية والإدارة القضائية بطريقة نسبية وفقاً للتركيبة الوطنية للجمهورية.

٤ — يتم تأسيس محكمة خاصة للفصل في مجال الاستفسارات الدستورية بين سلطات الجمهورية في الوحدات التأسيسية الثلاث، تستمر المحكمة في العمل لفترة لا تقل عن خمس سنوات وتشمل عناصر نزية من خارج الجمهورية ودول الجوار، تضم المحكمة عضواً من كل واحدة تأسيسية في وحدات الدولة الثلاث التأسيسية ونفس العدد من خارج الجمهورية، وتأخذ قراراتها بالأغلبية البسيطة.

(ث) الوحدات التأسيسية)

١ — يتم تشكيل الوحدات كما هو مبين في الفقرة «ج» لاحقاً.

٢ — مجلس النواب والحكومة لديهما السلطة على المستوى التشريعي للدولة في المجالات المحددة أعلاه ووفقاً للإجراءات المتفق عليها أعلاه أيضاً وذلك لسن القوانين وإدارة الأمور المتعلقة بالوحدات التأسيسية الثلاث فيما يعني إدارة الشئون الخدمية والرسمية لهذه الوحدات — نزع الملكية للاستخدام العام — تسجيل الأراضي — الوقاية من الحرائق — الغرف التجارية — الإشراف على المنظمات التجارية التعاونية — بنوك الأذخار ومؤسسات الأقراض — الإشراف على المؤسسات الخيرية — الضمان الاجتماعي — التأمين ضد المرض — الحفاظ على التراث التاريخي — والثقافي والفنى والمؤسسات مثل المكتبات والمعاهد والمتاحف — استخدام الأرضي — مراقبة البيئة — الإسكان — الأسواق — الطرق — خدمات الطاقة — التعدين — الصيد البري والبحري — خدمات الطبيعة — ترتيبات مجاري المياه — أنابيب النقل — النقل من خلال الوحدات التأسيسية — السياحة — الزراعة والغابات — المساعدة الاجتماعية — التعليم — المدارس — الشرطة — التجارة ومظاهر السياسة الاقتصادية الأخرى — الامن والأعمال العامة — الصحة — الرياضة وسبل قضاء الوقت «الاستحمام» — ما يستجد من موضوعات.

شاهد على مأساة البوسنة

- تستطيع الوحدة التأسيسية تأسيس والبقاء على العلاقات والروابط مع جمهوريات أخرى ومنظمات بشكل ينسق مع استقلال ووحدة أراضي جمهورية البوسنة والهرسك.
- ٣ — كل المؤسسات «الخدمية المدنية — القصائية — الخ....» التي اقامها نظام الوحدات التأسيسية تعكس بطريقة نسبية التشكيلة الوطنية لهذه الوحدات.
 - ٤ — اعضاء الشعب الذين يمثلون اقليات في الوحدة التأسيسية يتمتعون بالحماية.

(ج) تعریف الوحدات التأسيسية)

يتم تشكيل مجموعة عمل من اجل تخطيط اراضي الوحدات التأسيسية، تقوم على المبادئ الوطنية وتأخذ بعين الاعتبار الامور الجغرافية والاقتصادية وغير ذلك من الامور. تقوم الخريطة على اساس الاغلبية السكانية المطلقة او النسبية في كل مجلس بلدي، بحيث يكون ذلك اساساً مهمة مجموعة العمل، يخضع هذا العمل للتعديل فقط من قبل المستويات الاعلى. كما يتم الحق نسخة من الخريطة بهذا الاعلان.

(ح) الخطوات الانتقالية)

يتم اعداد قانون دستوري لتعديل الدستور من اجل اضفاء قوة التأثير على هذه المبادئ الامر الذي يتبع للوحدات التأسيسية اجراء ترتيبات مستقبلية بما يتفق والجزء «ث» من الاعلان. ثم الانتهاء من هذه المسودة في سراييفو في الثامن عشر من مارس لتكون اساساً للمفاوضات اللاحقة. وجرت الموافقة عليها بواسطة قادة الاحزاب الثلاثة «المسلمون — الصرب — الكروات» في الجولة الخامسة من المحادثات حول الترتيبات الدستورية المستقبلية للبوسنة والهرسك تحت رعاية مؤتمر سلام المجموعة الاوروبية.

**CENTRAL COMMISSION REPORT
FOR THE ASSEMBLY OF THE
MUSLIM NATIONAL COUNCIL**

**DATE: November 4, 1991
SUBJECT: Referendum Results on Full
Autonomy of Sanjak held
on October 25, 26, 27 1991**

After we had received all municipalities' commissions reports from Sanjak and other communes from all over Yugoslavia, where citizens of Sanjak are living and working temporarily, and after receiving results from other foreign countries where citizens participated in the referendum, we, the central commission for carrying out the referendum on autonomy of the Sanjak, have counted all the received results and we have tabulated the following voting figures:

In voting polls for the referendum on autonomy of Sanjak, in Sanjak municipalities, as well as other places in Yugoslavia and abroad, there were 264,156 registered and eligible voters. From this total number in the polling register, 185,437 eligible voters went to the polls, or 70.19 percent of eligible and registered voters.

On the referendum question: "YES - In favour of the full political and territorial autonomy of Sanjak, with the right of connection to one of the sovereign republics", the vote count was 183,302 or 98.85 percent of all votes. This is 69.39 percent of the entire body of eligible voters.

On the referendum question: "NO - not in favour of the full political and territorial autonomy of Sanjak", the vote count was 1,982 or 1.07 percent of all votes.

Invalid voting papers (ballots) totalled to 153, which is 0.08 percent of all casted votes.

All material used to carry out the referendum, including the ballots and tabulation sheets, is properly sorted, stored and classified in separated envelopes, and is being held by a special body of the Muslim National Council, which is taking care of its proper storage.

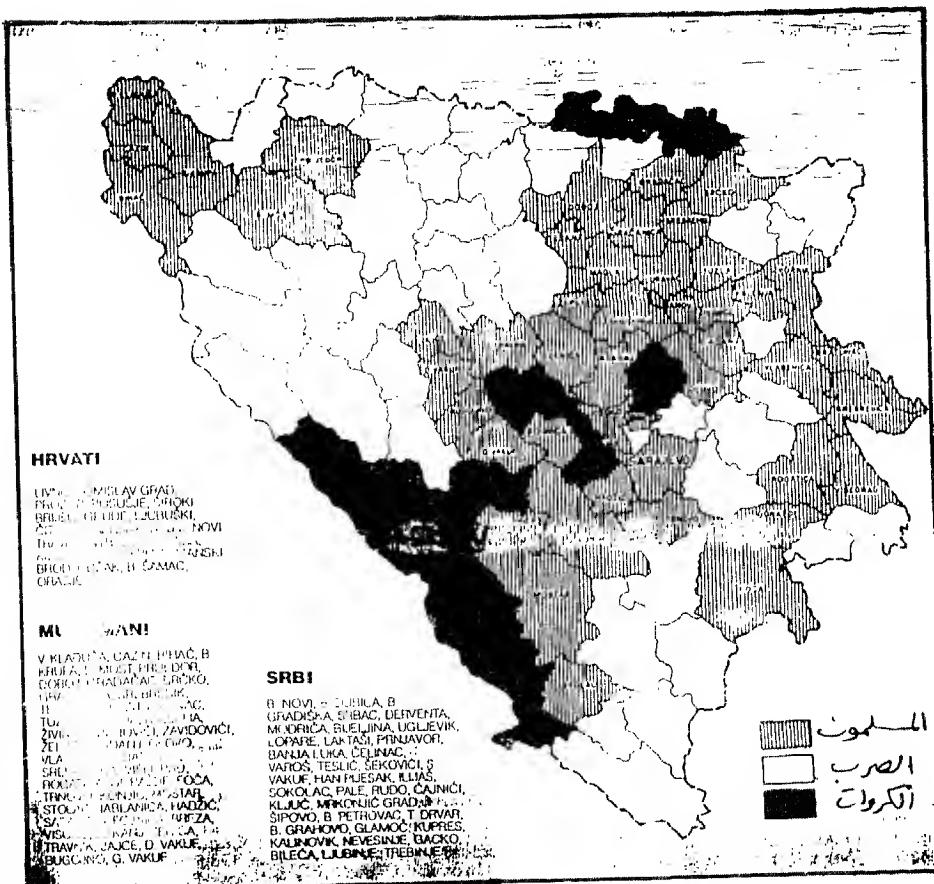
Based on the above facts, the Central Commission for the carrying out of the Referendum on autonomy of the Sanjak can state that the referendum succeeded.

Commission members:

- | | |
|--------------------------------------|-----------|
| 1. Dr. Rasim Ljajic, president | signature |
| 2. Dr. Fevzija Muric, vice-president | signature |
| 3. Prof. Azem Hajdarevic, member | signature |
| 4. Hadija Jakupovic, member | signature |
| 5. Kasim Zoranic, member | signature |

No. 19/ '91
Novi Pazar October 4, 1991

النسخة الانجليزية لتقدير اللجنة المركزية لاجتماع مجلس المسلمين الوطني بالسنجد وتوضيح نتيجة الاستفتاء على الحكم الذاتي الكامل للأقليم الذي تم في ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ أكتوبر عام ١٩٩١ واسفر عن موافقة نسبة ٩٨,٨٥٪ من الذين ادلوا بأصواتهم، و ٦٩,٣٦٪ من اجمالي الناخبين.



خريطة توضح للبوسنة والهرسك تقطير اماكن تركز اتباع الديانات الثلاث

المأساة بالصور



هذه صورة لقتل
شل مصري في
شمارى.



القدم بعد
الرصاص
والضحية
مسلمون.

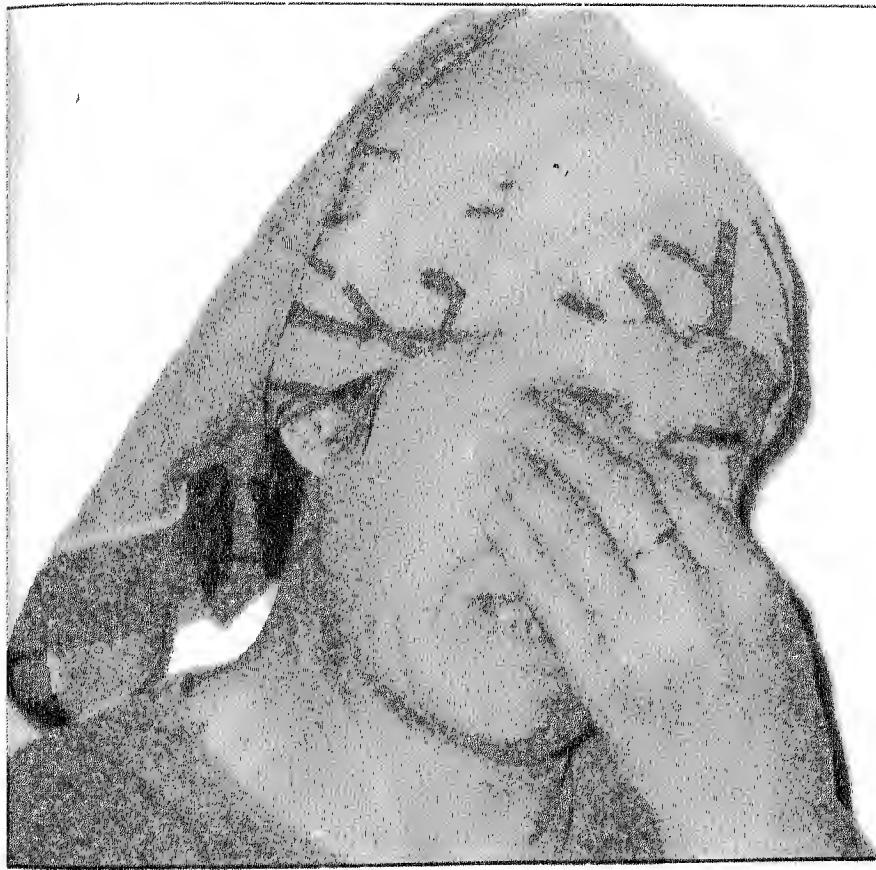
المأساة بالصور

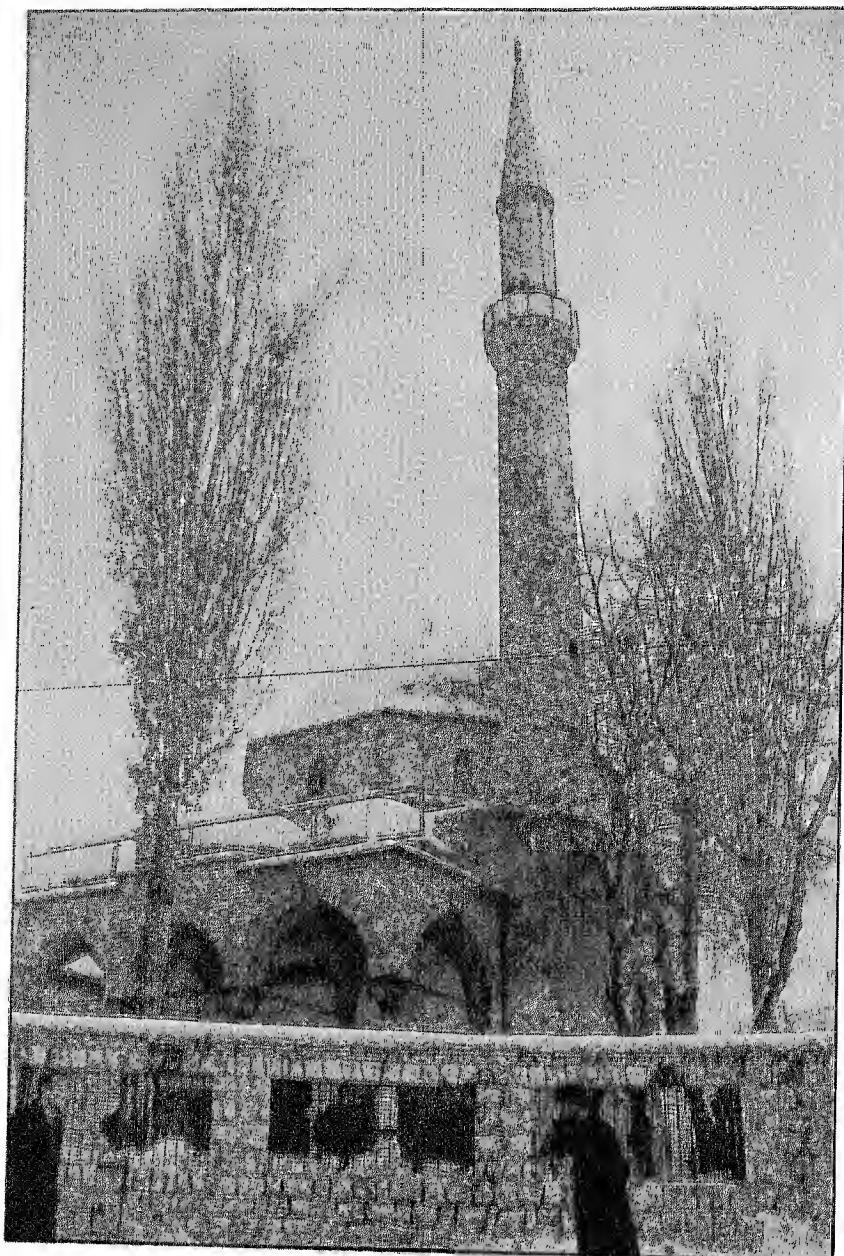


۸۷

داخل سيارة
في الطريق الى
معسكرات
اللاجئين بكراتيا.

ام شہید
بوسنی





احد مساجد سراييفو قبل القصف الصربى.

شادر على منصة المؤسفة



المؤلف داخل أحد مخابئه السلاح البوسنية.



.. و مع المقاتلين الكروات في كارلوغاتس.

الكتاب بالصور



أكاديمية
سيادة
سرارييفو
برسلاف.

شاهد على مأساة البوسنة

قناص مسلم
يصور نحو
موقع
صاربي.



قتال
الشوارع.

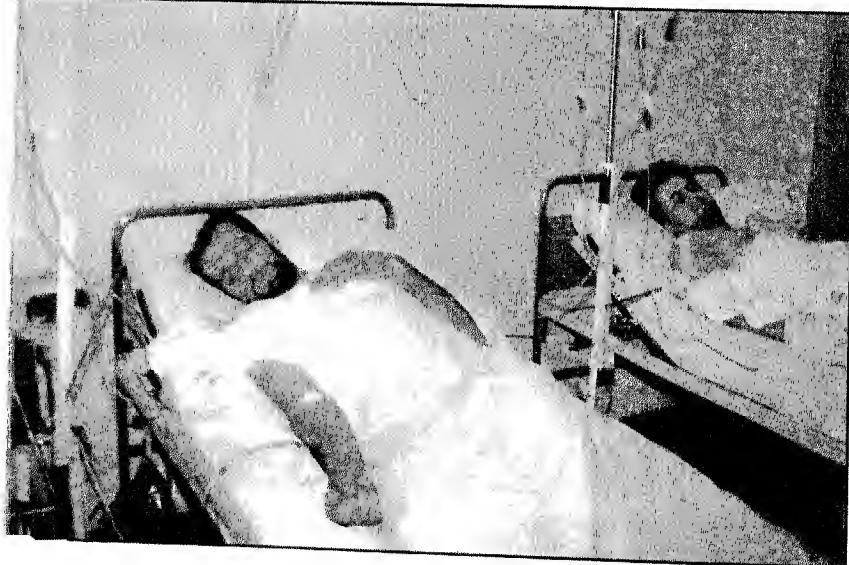


المأساة بالصور

٨٧



زوجان من
اليوغسلافيا
يترقبان
من داخل منزلهما
الذي تعرض
لقصف العدوان
الصرب.



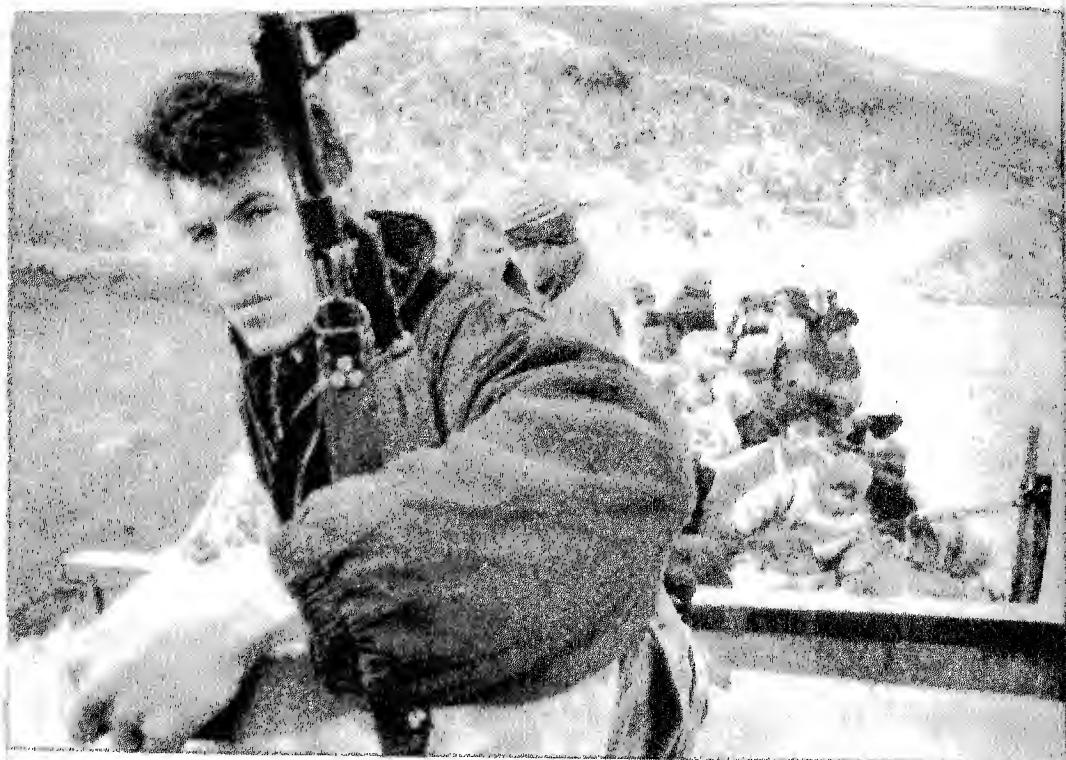
جرحى
بوسنيون

شجر على حافة الموسنة



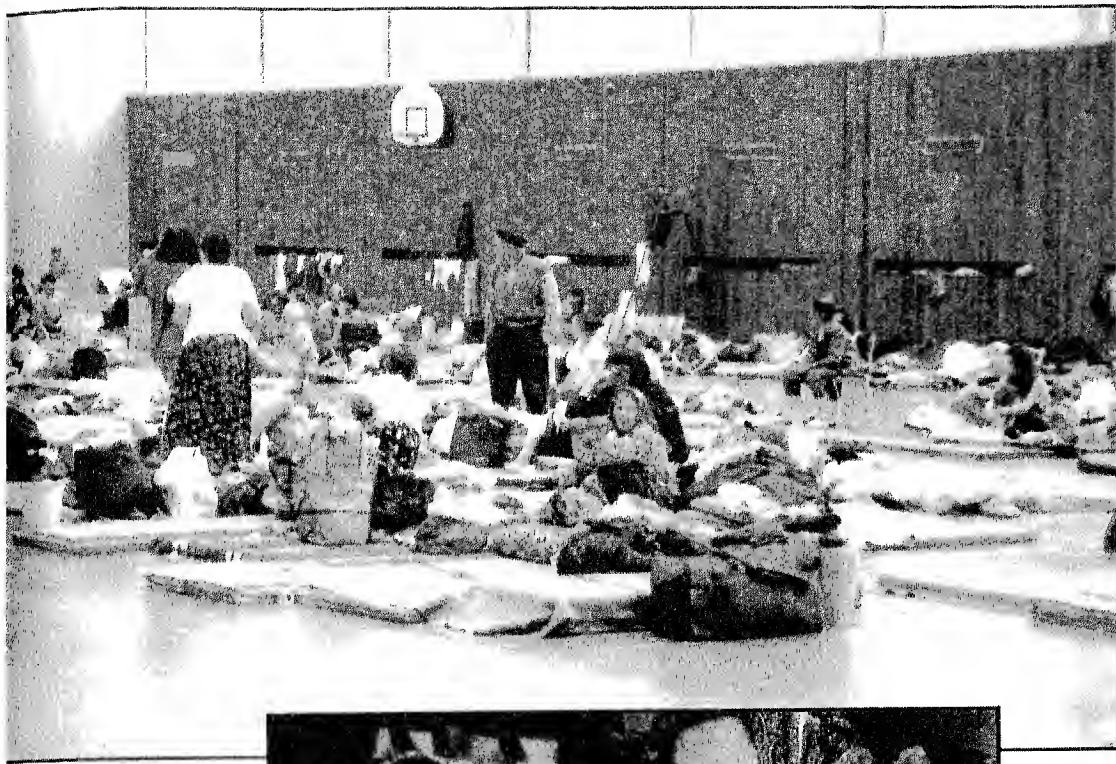
فسيحيا بالجهلة لسلفي البروستة والبروك

الإنسان بالصورة



موجز
قرية تورونتو
الرونالدية
الكونغرس
الكونغرس

سيوز
قتصار



داخل معسكر
للمهاجرين في
المدينة الرياضية
في سبليت.



ملامح الكارثة تعلو الوجه.



ضاحية من
ضواحي
سراييفو لم
تسلم من
القصف.

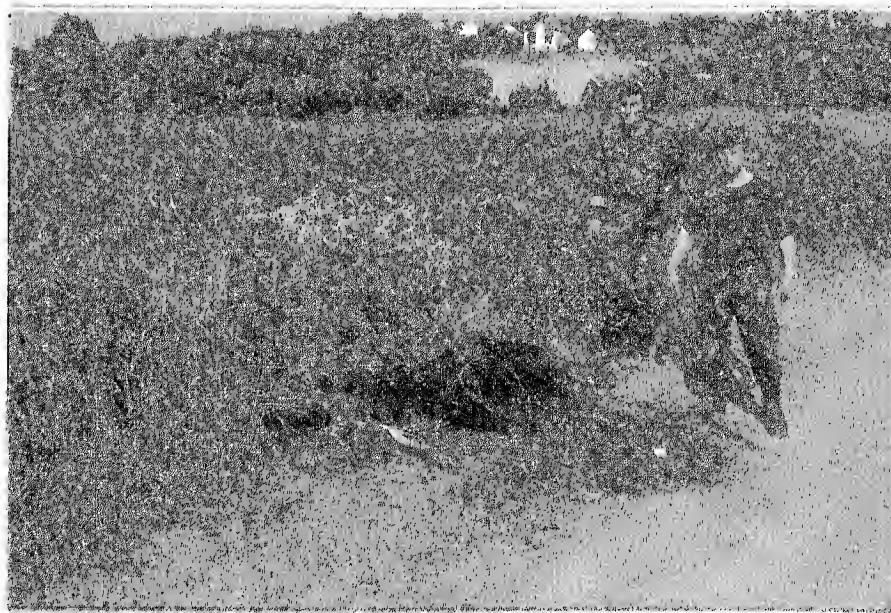


نظرة
غضب في
قلب سraiيفو
تصنعه
رصاصات
القنصل
الصربى.



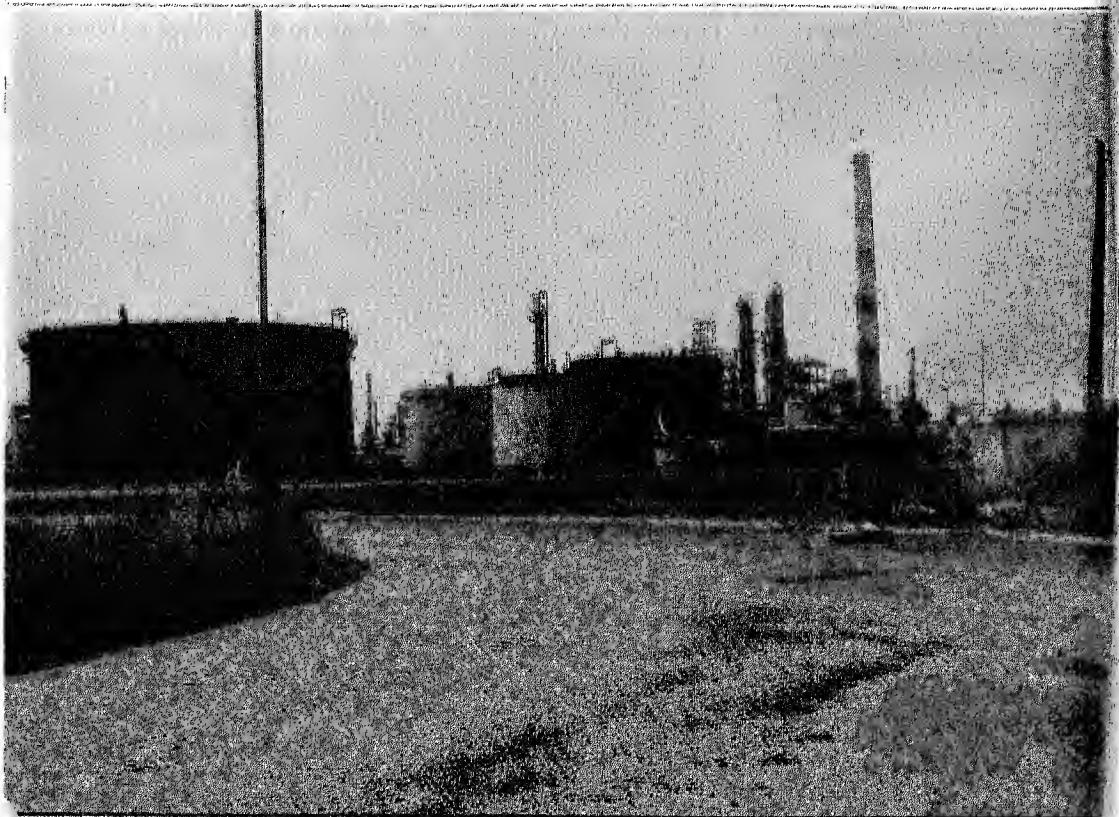
ام برسنوية تحمل ابنتها التي فقدت الرؤى من جراء الاشتباكة.

الذئاب في الخصون



هذا الكتاب
موسوعة عن اصل
جذب سفينة
لجنوب صربيا
بوسنانسكى
بروف المحرقة

صهافى نظم
طالها
القصص فى
بوسنانسكى
بروف



شاهد على مأساة البوسنة

٩٤



عشرات الاليدي للحصول على لقمة

المأساة بالصور

٩٥



حرب الشوارع لا تتوقف.



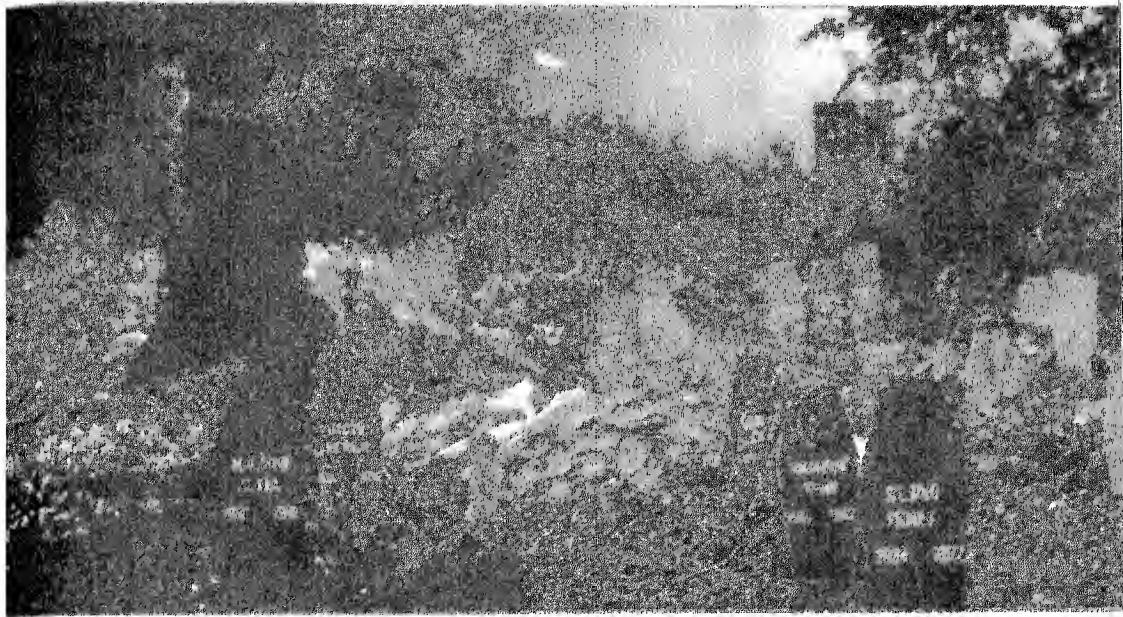
جيـل يتذكـر مـأسـي الـأـربعـينـات
.. جـيل يـدـافـعـ عنـ الـاسـلامـ



الحصول على الغذاء
مشكلة حقيقة.

شهيد على مقبرة الروسية

٤٧



وتحتاج وسيلة شهادة المحرر في الجزء القديم من المعاشرة.



مزار شهيد ينام تحت ثلج الشتاء في سراييفو.





G

Icon of the Alexandrian Library, 1000.
Ptolemy, Ptolemaic.



كما هو متبع في مدارس العلوم الطبيعية
الحضرى، المدرس الحالى فى المدارس
لقد قدم مسيرة دراسية شاملة مع
الاحسان، وفى المدارس تلقى اعجاب
الاخصائى ما يحيط به من اجل الارض
وليس يقتصر على الاخر، بل يحيط
بالكتاب والكتابات الفنية، ويحيط
الاسلامى وحيثما يرى من ادب اسلامى
السائل الذى يحيط بالاسلامى اصل
مدى انتشاره وحيثما يحيط بالكتاب
والكتاب الاصيل (كتاب الحج)



المؤلف:

- مواليد عام ١٩٥٢
- بكالوريوس صحفة من كلية الاعلام بجامعة القاهرة.
- حاصل على دبلوم اللغة الفرنسية والمرحلة المتوسطة من الدبلوم العالى للادب الفرنسي من الالىانس فرانسيز.
- صحفي بجريدة الجمهورية عضو نقابة الصحفيين المصرية.
- عمل صحفيًا في خمس دول عربية وأوروبية.
- يعمل حالياً مديرًا لمكتب جريدة «الاتحاد» الطيبانية في باريس.
- صدر له كتاب بعنوان «١٧ قضية في ميزان الاسلام»

الثمن: ١٠ دراهم